الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٠٣ — ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٥ — السنة الثالثة

3 me Année, No. 103.

Lundi-24-6-1935

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ١٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٤ — ٢٤ يونيو سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العــــدد

بين والد وولده

مثل من الشباب الصالح

عرفت منذ أيام فتى غَريض الشباب رقيق الإهاب وضيء الطلعة؛ يتكلم فيشع عقله فى معانيه، ويشيع ذكاؤه فى مراميه، ويسيل شعوره على ألفاظه؛ وهو لا يتكلم إلا عن العمل، ولا يناقش إلا فى الواقع، ولا يرمى إلا إلى غرض؛ طموح النفس فلا يحصر أفقه يأس، ولا يحد غايته مطلب؛ بعيد الهمة فلا يُضله شارد الخيال، ولا يغره خادع الأمل؛ رفيع الهوى فلا يشوب غرضه سوء، ولا يفسد طموحه أثرة. نبت فى أكرم المنابت من إقليم الغربية، فأبوه عميد أسرته، وزعيم بلدته، وسَرِىٌّ نابه من سَراة إقليمه؛ رباه فى مهد النعيم، ونشَّأه فى ظلال الغنى، وقلّبه فى أحضان الترف، فكان خليقاً أن يمسه الغباء وهو داء الغنى، وأن يصيبه الخمول وهو بلية الترف، ولكنه لقوة الطبع واستعداد الفطرة شب ذكى الفؤاد إلى درجة الحكمة، مشبوب العزم إلى حد المغامرة؛ يذهب بنفسه غالباً إلى الاعتداد الواثق، ويميل بحيائه أحياناً إلى الجرأة المؤدبة، وينظر إلى غاية الحياة

— وهو لا يزال فى بدايتها — نظر الكيّس اللبيب المجرب ، فيهاجم السياسيين من ناحية استخفافهم بالخلق ، والموظفين من جهة استهانتهم بالواجب ، والفلاحين من حيث اعتمادهم فى الإنتاج على القديم الرث ، وفى العلاج على القدَر والمصادفة . على أنه أمام أبيه — وهو قرة عينه — مثال البر ورمز الطاعة ، فلا يفند له رأياً ، ولا يعصى له أمراً ، ولا يخالف له نصيحة

تخرج منذ أسبوع فى إحدى المدارس العالية ، وكان الثانى فى ترتيب الناجحين ، وإن شئت فقل الأول ، لأن الفرق بينه وبين سابقه لايقدم لضآلته ولا يؤخر ، فالوظيفة بحكم أوليته فى النجاح ومعونة أسرته بالنفوذ ، تنتظره فى كل مكان وتطلبه فى كل وزارة ، ولكنه زارنى منذ يومين فوجدته على غير عادته مشغول القلب منقبض الصدر مشترك الخاطر ، لا أثر عليه لنشوة الفوز ، ولا للذة الراحة ، ولا لفرحة المنصب ، كأنما هو آخر الدبلوم أو فقير متقدم من غير وسيلة ! !

— مالك ساهمَ الوجه ، مكروب النفس يا فهمى ؟ هنيئاً لك الدبلوم والأولية ! فقال والأسى يبين فى صوته ولهجته : ليتنى لم أنل هذه الدبلوم ، ولم أحز خطر هذا السبق ؛ فلقد كان فى لذة المدارسة ، وشهوة المنافسة ، وترقب النجاح ، وانتظار الحرية ، رضًى لنفسى الطامحة ، وكفاية لقلبى الرغيب . أما الآن فالفراغ يثقل حتى يقتل نفسى ، والوقت يطول حتى يمل روحى ، والأمل يضيق حتى يُظلم حياتى ! أريد أن أعمل فيمنعنى أبى ، لأنه يضن بصحتى على مخاطر الفلاحة ، وبراحتى على متاعب الفلاحين ، وبسعادتى على هموم المسئولية

— إذن ماذا يريد لك أبوك ؟

— يريد لى الوظيفة ! والوظيفة سجن لنفسى الطليقة ، وتعطيل لملكاتى الموهوبة ، ومحو لمعارفى المكسوبة ، وقتل لآمالى الناشئة ، وتوجيه لميولى الطبيعية إلى الغرض الذى لا أحب والقصد الذى لا أريد

إن فى مزارعنا الواسعة مجالاً فسيحاً لنشاطى ، ومَرَاداً بعيداً لعلمى ، ومختبراً صالحاً لتجاربى ، ومغرساً كريماً لآمالى ، فأنا أوثر أن أحمل عبء العمل عن والدى ، وأستغل علمى وعملى فى تحقيق مقاصدى ، فأحافظ بالاستقلال الذاتى على خلقى وحريتى ، وأساهم بالعمل المنتج فى نفع أمتى وإسعاد أسرتى

ماذا تجدى علىّ الوظيفة ؟ عشرة جنيهات فى الشهر ؟ لقد كان أبى ينفق علىّ خمسة وعشرين وأنا طالب ، فكم جنيهاً ينفقها علىّ وأنا موظف ؟ إذن سينفق علىّ أضعاف مرتبى لأخدم غيره ، وأفارق بيته ، وأظل السنين الطوال موظفاً وضيع المكانة ، مسلوب الإرادة ، محدود الرزق ، خامل الحياة !

إن شهادتى فى فن الزراعة ؛ والوظيفة الفنية كالوظيفة العلمية لا تصلح طريقاً إلى السلطان ، ولا وسيلة للجاه ، ولا أداة للثروة ؛ إنما الفن مجده فى استقلاله ، وخيره فى حريته . على أن وظائف الحكومة — بعد أن خفضوا أجرها ، وأخسّوا قدرها ، وحفوا طريقها بالمكاره ، وهددوا معاشها بالنقص ، وزعزعوا ضمانها بالكيد ، وروعوا أمنها بالسياسة — أصبحت مطلباً لقصار الآمال ، ومذهباً لصغار النفوس ، وملجأ لضعاف الحيلة . فأما الذى يجد فى نفسه شعور القدرة ، وفى بيته رأس المال ، وفى أرضه مكان العمل ، ثم يتشوف إلى قيد الوظيفة وذل التبعية ، فلا أدرى بم أعتذر له أمام النُّبل والرجولة ؟

فقلت له وأنا موزع النفس بين الاعجاب به والرثاء له والحدَبِ عليه : كلامك هذا يا بنى عنوان عقلك وبرهان فضلك ودليل دعواك . وليت شعرى ما حجة أبيك الكريم أمام هذا الخلق العظيم والمنطق الواضح ! لعله من أولئك الذين يعتقدون أن الولد إذا دخل المدرسة ، ثم خرج بالشهادة ، ثم لم يوظف ، كان ما أنفقه خسارة لا تعوض ، وما تعلّمه عبثاً لا يفيد !

فقال : كلا ! إن أبى من أرجح الناس عقلاً ، وأسدهم رأياً ، وأعلمهم بمزايا العمل الحر ، ولكنها التقاليد الموروثة ، والعواطف الغالبة ، وسأنتهى آخر الأمر على رغم هوايَ ومنايَ إلى رأيه . فقلت له إذن دعنى على الأقل أنقل عنك هذا الحديث ليكون خطاباً إلى أبيك ، ودرساً لإخوانك ، وموضوعاً للرسالة !

احمد حسن الزيات

الطائشة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تتمة

وهذا مُحَصَّلُ رواية « الطائشة » نقلناه من خط الكاتب على مَساقِ مادوّنه فى أوراقه ، وعلى سَرْدِهِ الذى قصَّ به الخبر . وقد أعطانا من البرهان ما نطمئنُّ اليه أن هذه « الطائشة » هى من تأليف الحياة لا من تأليفه ، وأنه لم يخترع منها حادثةً ، ولم يأتفكْ حديثاً ، ولم يَزِدْها بفضيلة ، ولم يَنقُصْها بمَعَرَّة ؛ وأشهَدَ على قوله كُتُبَ صاحبته الأديبة المُستهترة التى لا تبالى ما قالت ولا ما قيل فيها . وهذه الكتبُ رسائلُ منها المُوجَزُ ومنها المستفيضُ ، وهى بجملتها تنزلُ من الرواية منزلةَ الشروح المُفَنَّنة ، وتنزلُ الروايةُ منها منزلةَ اللُّمعِ المقتضبة ؛ وكل ذلك يُشبه بعضُه بعضاً ، فكلٌّ ذلك بعضُه شاهدٌ على بعض

قال كاتب (الطائشة) :

كنتُ رجلاً غَزِلاً ولم أكن فاسقاً ، ولستُ كهؤلاء الشبّان الذين أُصيبوا فى إيمانهم بالله فأصيبوا فى إيمانهم بكل فضيلة ، وذهبوا يُحقّقون المدنيَّةَ فحقّقوا كلَّ شىء إلا المدنية

ترى أحدَهم شريفاً يأنفُ أن يكون لصًّا وأن يسمى لصًّا ، ثم لا يعملُ إلا عملَ اللص فى استلاب العفاف وسرقةِ الفتَيات من تاريخهنّ . وتراه نجِداً يستنكِفُ أن يكون فى أوصاف قاطع الطريق ، ثم لا يأبى إلا أن يقطعَ الطريقَ فى حياة العذارى وشرفِ النساء

أكثرُ أولئك الشبان المتعلمين يَعرضون للفتَيات المتعلمات بوجوه مصقولةٍ تحتملُ شيئين : الحب والصَّفع . . . ولكن أكثر هؤلاء المتعلمات يضمَنَّ القُبلة فى مكان الصفعة ، إذ كان العلمُ قد حلَّلَ الغريزةَ التى فيهن فعادت بقايا لا تَستَمسِكُ ، وبصَّرهنّ بأشياءَ تزيد قوةَ الحياة فيهن خطَرا وتُوحِى اليهنّ وحيها من حيث يشعُرْنَ ولا يشعرن ، وصوَّر فى أوهامهنّ صُوَراً محتْ الصُّوَرَ التى كانت فى عقائدهن ، وأخرجهنّ من السَّلْب الطبيعى الذى حماهنّ الله به ؛ فلهنّ العفةُ والحياءُ ولكن ليس لهن ذلك العقلُ الغَريزيُّ الذى يجىء من الحياء والعفة ؛ وكثيراتٌ منهن يخشَيْن العارَ ومَعَرَّتَه الاجتماعية ولكن خَشيةَ فُقهاءِ الحِيَلِ الشرعية قد أرصَدوا لكل وجهٍ من التحريم وجهاً من التحليل ، فأصبح امتناعُ الإثم هو ألا تكونَ اليه حاجة . . . .

والعقلُ الذى به التفكيرُ يكون أحياناً غيرَ العقل الذى به العمل ؛ ففى بعض الجاهلات يكونُ عقلُ الحياء والعفة والشرف والدين — غريزةً كغرائز الوحش ، هى الفكرة وهى العملُ جميعاً ، وهى أبداً الفكرةُ والعملُ جميعاً لا تتغير ولا تتبدّل ولا يقع فيها التنقيحُ الشعريُّ ولا الفلسفى . . . . وما غريزةُ الوحش إلا إيمانُه بمن خلقه وحْشاً ؛ وكذلك غريزة الشرف فى الأنثى هى عندى حقيقةُ إيمانها بمن خلقها أنثى

وشرفُ المرأة رأسُ مالِ المرأة ، ومن ذلك كان له فى أوهام العلم اشتراكيةٌ بحَسَبِه تنظر فيه نظرَها وتَزيغُ زَيغَها وتقضى حكمها ، وأكثر من عرفتُ من المتعلمين والمتعلمات قد انتهوْا بطبيعتهم العلميةِ الى الرضى بهذه الاشتراكية ، والى التسامح فى كثير ، والى وضع الاعتذار فيما لا يقبلُ عُذراً ؛ ومن ها هنا كان بعضُ الجاهلات كالحِصْنِ المُغلَقِ فى قمّة الجبل الوَعْر ، وكان بعض المتعلمات دون الحِصن ، ودون القمّة ، ودون الجبل ، ؛ حتى تنزلَ الى السهْل فتراهنّ ثَمّه

لقد غفلَتِ الحكوماتُ عن معنى الدين وحقيقته ، فلو عرفت لعرفتْ أن الانسانيةَ لا تقوم إلا بالدين والعلم كليهما ؛ فان فى الرجل إنساناً عاماً ونوعاً خاصًّا مذكراً ، وفى المرأة إنسانٌ عامٌّ كذلك ونوع خاصٌّ مؤنث . والدين وحده هو الذى يُصلح النوع بتحقيق الفضيلة وتقرير الغاية الأخلاقية ، وهو الذى يُحاجزُ بين الغريزتين ، وهو الذى يضع القوة الروحية فى طبيعة المتعلم ؛ فان كانت طبيعةُ التعليم قويةً كانت الروحية زيادة فى القوة ، وإن كانت ضعيفةً كما هى الحالُ فى هذه المدنيّة لم تجمع على التعلم ضعفين يَبتَلى كلاهما الآخر ويزيده

***

فلانٌ وفلانٌ تعلّقا فتاتين جاهلةً ومتعلمة ؛ وكلتاهما قد صدّت صاحبَها وامتنعت منه ؛ فأما الجاهلةُ فيقول (فلانُها) إنها كالوحْش وإن صُدودَها ليس صدوداً حَسْبُ ، بل هو

ثورةٌ من فضيلتها وإيمانها ، فيها المعنى الحربيُّ مجاهداً مُتحفِّزاً للقتل . . . .

وأما المتعلمةُ فيقول (فلانٌها) إنها ككل امرأة وإن صدودها ثورةٌ ولكن من دلالها تُرضى بها أولَ ما تُرضي وآخرَ ما تُرضى كبرياءَ الجمال فيها لا الايمانَ ولا الفضيلة . فكأنها إيحاءٌ للطامع أن يزيدَ طمعاً أو يزيد احتيالاً

وفلانٌ هذا يقول لى : إن ضُعفاءَ الايمان من الشبان المتعلمين — وأكثرهم ضعفاءُ الايمان — لو حققتَ أمرهم وبلوتَ سرائرهم ، لتبينتَ أنهم جميعاً لا يرون قلبَ الفتاة المتعلمة إلا كالدار الخالية كُتب عليها : (للايجار) . .

***

يقول كاتب « الطائشة » :

أما أنا فقد صحَّ عندى أن سياسة أكثر المتعلمات هى سياسةُ فتح العين حَذَراً من الشبان جميعاً ؛ وإغماضِ العين لواحد فقط . . . .

وهذا الواحدُ هو البلاءُ كلُّه على الفتاة فانها بطبيعتها تتقيد ولا تنفصل إلا مُكْرَهَة ، وهو بطبيعته قيدُه لذته فيتصل وينفصل . غير أنها لابد لها من هذا الواحد ، ففكرها المتعلم يُوحى إليها بالحياة لا يجعلُ فى ذلك موضعاً للتنكير عندها ، والحياةُ نصفُ معانيها النفسية فى الصديق ؛ فالأنوثةُ بغيره مظلمةٌ فى حياتها راكدةٌ فى طباعها ثقيلةٌ على نفسها ما دام « الشعاعُ » لا يلمسها . .

والدينُ يأبى أن يكون ذلك الصديقُ إلا الزوجَ فى شروطه وعهوده كيلا تتقيدَ المرأةُ إلا بمن يتقيدُ بها ، والعلم لا يأبى أن يكون الصديقُ هو الحب ؛ والفنُّ يوجب أن يكون هو الحب ، وليس فى الحب شروطٌ ولا عهود إلا وسائلَ تُختلَقُ لوقتها وأكثرها من الكذبِ والنفاقِ والخديعة . ولفظُ الحب نفسُه لصٌ لُغَويٌّ خبيثٌ يَسرقُ المعانى التى ليست له ويُنفِقُ مما يسرق . وليس من امرأةٍ يختدعُها عاشقٌ إلا انكشف لها حبه كما ينكشف اللص

***

يقول كاتب « الطائشة » :

تلك فلسفةٌ لا بد منها فى التوطئةِ للكتابة عن (عزيزتى رغم أنفى) . ومَن كانت مثلها فى أفكارها واستدلالها وحُججِها وطريقتها — كان خليقاً بمن يكتب قصتها أن يجعل القصة من أولها مُسلَّحة . .

لقد تكارَهْتُ على بعض ما أرادت منى ما دام الحبُّ (رغم أنفى) ، وما دامت السياسةُ أن أُداريَها وأتبعَ محبتها ؛ غير أنى صارحتُها بكلمةٍ شمسيةٍ تلمع تحت الشمس ؛ أنها الصداقةُ لا الحبُّ ، وأنما هو اللهوُ البرىء لا غيرُه ، وأن ذلك جُهدُ ما أنا قويٌّ عليه وَفيٌّ به . قالت : فليكن ، ولكن صداقةٌ أعلى قليلاً من الصداقة . . . ولو من هذا الحب المتكبر الذى لا يَصدُق كيلا يكذب . . . إن هذا النوعَ من الحب يطيش بعقل المرأة ولكنه هو أول ما يَستهيمُها ويُعجبُها ويورثها التياعَ الحنين

***

كتبت لى : أنا لا أتألم فى هواك بالألم ، ولكن بأشياءَ منك أقلها الألم ، ولا أحزنُ بالحزن ، ولكن بهموم بعضها الحزن

إنك صنعتَ لى بكاءَ ودموعاً وتنهدات ، وجعلت لى ظلاماً منك ونوراً منك ، يانهارى وليلى . تُرىَ ما اسمُ هذا النوع من الصداقة ؟

اسمه الحب ؟ لا

اسمه الكبرياء ؟ لا

اسمه الحنان ؟ لا

اسمه حُبك أنت ، أنت أيها الغامضُ المتقلب . ألا ترى ألفاظى تبكى ، ألا تسمعُ قلبى يصرخ ، بأىِّ عدلِك أو بأىِّ عدلِ الناسُ تريد أن أحيا فى عالم شمسُه باردة . . . . هذا قتل ، هذا قتل

فكتبتُ اليها : إن لم يكن هذا جنوناً إنه لقريبٌ منه

فردتْ على هذه الرسالة :

أتكاتبني بأسلوب التلغراف . . . . لو أهديتَ الى عِقداً من الزمرد حبَّاته بعدد هذه الكلمات لكنت بخيلاً ، فكيف وهى ألفاظ ؟ إنى لأبكى فى غَمْضَةٍ واحدة بدموعٍ أكثر عدداً من كلماتك ، وهى دموعٌ من آلامى وأحزانى ؛ وتلك ألفاظٌ من لهوك وعَبَثك

ماكان ضرَّك لو كتبتَ لى بضعة أسطر من تلغرافات

روتر ... مادمت تسخر مني ؟ أأنت الشباب وأنا الكهولة ، فليس لك بالطبيعة إلا الانصراف عني ، وليس لي بالطبيعة إلا الحنين إليك ؟

* * *

لا أدرى كيف أحببتها ولا كيف دعتني إليها نفسي ، ولكن الذي أعلمه أني تخادعت لها وقلت إن المستحيل هو منع هذا الشر ، والممكن هو تخفيفه ؛ ثم أقبلت أرثى لها ، وأخفف عنها ، وأقبلت هي تضاعف لي مكرها وخديعتها ، وكان الأمر بيننا كما قالت : في الحب والحرب لا يكون الهجوم هجوماً وفيه رفق أو تراجع

إن المرأة وحدها هي التي تعرف كيف تقاتل بالصبر والأناة ؛ ولا يشبهها في ذلك إلا دهاة المستبدين

* * *

سألتني أن أهدى إليها رسمي ؛ فاعتللت عليها بأن قلت لها : إن هذا الرسم سيكون تحت عينيك أنت رسم حبيب ، ولكنه تحت الأعين الأخرى سيكون رسم متهم

وظنتني أبلغت في الحجة وقطعتها عني ؛ فجاءتني من الغد بالرد المفحم ، جاءتني باحدى صديقاتها لتظهر في الرسم الى جانبي كأنني من ذوى قرابتها .... فيكون الرسم رسم صديقتها ، ويكون مهدى منها لامني ، وكأنني فيه حاشية جاءت من عمة أو خالة ....

وأصررت على الاباء ، ونافرتني القول في ذلك ، ترد على وأرد عليها ، وتغاضبنا وانكسرت حزناً وذهبت باكية ؛ ثم تسببت الى رضاى فرضيت

* * *

حدثتني أن صديقتها فلانة استطاعت أن تستزير صاحبها فلاناً في مخدعها في دارها بين أهلها منتصف الليل . قلت وكيف كان ذلك ؟

قالت إنها تحمل شهادة .... وهي تلتمس عملاً وقد طال عليها ؛ فزعمت لذويها أنها عثرت في كتاب كذا على رقية من رقى السحر ، فتريد أن تتعاطى تجربتها بعد نصف الليل إذا محق القمر ؛ وأنها ستطلق البخور وتبقى تحت ضبابته إلى الفجر تهمهم بالأسماء والكلمات

ثم إنها اتعدت وصاحبها ليوم وأجافت باب دارها ولم تغلقه ، وأطلقت البخور في مجمر كبير أثار عاصفة من الدخان المعطر وجعل مخدعها كمخدع عروس من ملكات التاريخ القديم . وبقى صاحبها تحت الضبابة يهمهم وتهمهم .. ثم خرج في أغباش السحر

هكذا قالت ؛ وما أدرى أهو خبر عن تلك الصديقة وفلانها أم هو اقتراح علي أنا من « فلانة » لأكون لها عفريت الضبابة . . . ؟

* * *

لم يخف عليها أن لذعة حبها وقعت في قلبي ، وأن صبرها قد غلب كبريائي ، وأن كثرة التلاق بين رجل وامرأة يطمع أحدهما في الآخر – لابد أن ينقل روايتهما إلى فصلها الثاني ، ويجعل في التأليف شيئاً منتظراً بطبيعة السياق . . . . والحاح امرأة على رجل قد خلبها وجفا عن صلتها ، إنما هو تعرضها للتعقيد الذي في طبيعته الانسانية . فان هي صابرته وأمعنت فقلما يدعها هذا التعقيد من حل لمعضلتها .

وبمثل هذه العجيبة كان تعقيداً وكان غير مفهوم ولا واضح ؛ وقد ينقلب فيه أشد البغض إلى أشد الحب وقد تعمل فيه حالة من حالات النفس مالا يعمل السحر . وكذلك يقع للرجل إذا أحب المرأة فنبت عن مودته فعرض للتعقيد الذي في طبيعتها وأمعن وثبت

رأت الجمرة الأولى في قلبي فاضرمت فيه الثانية حين جاءتني اليوم بكتاب زعمت أن فلاناً أرسله إليها يطارحها الهوى ويبثها وله الحنين والتياع الحب

ويقول لها في هذا الكتاب : أنا لم أشرب خمراً قط ولكني لا أراني أنظر إلى مفاتنك ومحاسنك إلا وفي عيني الخمر ، وفي عقلي السكر ، وفي قلبي العربدة . جعلت لي نظرة سكير فيها نسيان الدنيا وما في الدنيا ما عدا الزجاجة . . .

ويختمه بهذه العبارة :

آه لو استطعت أن أجعل كلامي في نفسك ناعماً ، ساحراً ، مسكراً ، مثل كلام الشفة للشفة حين تقبلها . . .

عند هذا وقع الشيء المنتظَر في الفصل الثاني من الرواية ، وختم هذا الفصلُ بأول قُبلة على شفتي (الممثلة)

***

قالت : هذه القبلة كانت (غَلطة مطبعية) ومضت تسميها كذلك واستمرت الطبعة تغلط .... وما علمتُ إلا من بَعْدُ أن ذلك الكتابَ الذي اسْتَوقدَتْ به غيرتي ، إنما كان من عملها ومكرها

***

وجاءتني اليوم بآبدَةٍ من أوابدها ، قالت :

أنت رَجعيٌّ محافظ على التقاليد . قلتُ لأني أرى هــذه التقاليد كالصباح الذي يتكرر في كل يوم وهو في كل يوم ضياء ونور

قالت : أو كالمساء الذي يتكرر وهو في كل يوم ظلامٌ وسَواد

قلت : ليس هــذا إليَّ ولا إليك ، بل الحكم فيه للنفع أو الضرر

قالت : بل هو إلى الحياة ، والحياة اليوم علمية أوربيــة ، والزمنُ حثيثٌ في تقدمه ، وأصحابُ « التقاليد » جامدون في موضعهم قد فاتهم الزمن ، ولذلك يسمونهم (متأخرين) . أما علمت أن الفضيلة قد أصبحت في أوربا زِيّاً قديماً فأخذ المِقَصُّ يعملُ في تهذيبها ، يقطعُ من هنا ويَشُقُّ من هنا . . .

اسمع أيها « المتأخر » وتأمل هذا الرهان الأوربي العصري

أخبرتني صديقتي فلانة حاملة شهادة . . . . أنها كانت في القطار بين الاسكندرية والقاهرة وكانت معها فتاة من جيرتها تحملُ الشهادة الابتدائية ؛ فجمعهما السفَر بشاب وَسيم ظريف يُشاركُ في الأدب ، غير أنه رَجْعيٌّ (متأخر) . وصديقتي تعرفُ من كل شيء شيئاً ، وتأخذُ من كل فن بطـرَف ؛ فجرى الحديثُ بينهما مجراه ، وتركت الصديقةُ نفسها لدواعيها وانطلقت على سَجيَّتها الظريفة ، ووضعتْ فنَّ لسانها في الكلام فجاءت فيه روحَ التقبيل

ولم تبلغ إلى القاهرة حتى كانت قد سحرت ذلك (المتأخر) ووقعت من نفسه ودنمته إلى الزمن الذي هو فيه . فلما همّت بوداعه سألها : أين تذهبان ؟

فأغضت صاحبة الشهادة الابتدائية ، وأطرقت حياء ورأت في السؤال تهمة وريبة ، فأنبتها الصديقةُ وأيقظتها من حيائها ، وقالت لها : ألا تزالين شرقية متأخرة . إن لم يسعدنا الحظ أن تكون لنا حريةُ المرأة الأوربية في المجتمع وفي أنفسنا ؛ أفلا يسمنا أن تكون لنا هذه الحرية ولو في أنفسنا ؟

ثم ردَّت على الشاب فأنبأته بمكانها وعنوانها ، فأطمعه ردُّها فسألها أن تتنزه معه في بعض الحدائق ، فأبت صاحبته الابتدائية ولجت عمايتها الشرقيةُ المتأخرة ، ورأت في ذلك مَسقطةً لها ، فلوَتْ إلى دارها وتركتهما إنساناً وإنساناً لا فتىً وفتاة ، وتنزّها معاً ، وعرف الشابُ الرجعيُّ الحبَّ والخمرَ التي هي تحيةُ الحب

ولم تستطع الفتاةُ الماكرة أن ترجعَ الى دارها وهي سكرى فأوتْ الى فندق ، وختمت روايتهما باعراضٍ من الشاب أجابت هي عليه بقولها : ألا زلت (متأخراً) . . . . ؟

قالت « الطائشة » :

نعم يا عزيزي (المتأخر) إن مذهب المرأة الحرة . . . . في الفرق بين الزوج وغير الزوج ، أن الأولَ رجلٌ ثابتٌ ، والآخر رجل طارئ . والثابتُ ثابتٌ معها بحقه هو ؛ والطارئُ طارئٌ عليها بحقها هي . . . . فان كانت حرة فلها حقها . . .

قال كاتب الطائشة : وهنا كاد الشيطان يرفع الستار عن فصل ثالث في هذه الرواية ، رواية (الطائشة) . . .

***

نقول نحن : وإلى هنا ينتهي نصف الرواية ؛ أما النصف الآخر فيكاد يكون قصة أخرى اسمها : (الطائش والطائشة) ما ؟

(طنطا) محمد عرفه [signature]

كيمياء الأفكار والعواطف

للأستاذ أحمد أمين

كان القدماء يفهمون من « الكيمياء » الأكسير المنشود ، الذى إذا عُثر عليه وأضيف الى الزئبق أو الفضة بكمية محدودة ، تحت حرارة معينة ، انقلب الزئبق أو الفضة ذهباً إبريزاً

وليس يعنينا هنا أن نبين ما أنفق الناس من جهد فى الوصول إليه ، ولا ما أنفقوا من مال وزمان فى سبيل العثور عليه ، ولا ما ملئت به كتب الفلسفة الاسلامية من جدل فى امكان ذلك أو استحالته

إنما يعنينا هنا أن نقول إن العلماء والأدباء نقلوا استعمال هذه الكلمة إلى المعانى بعد أن كانت قاصرة على المادة ، فسمى « الغزالى » كتاباً من كتبه « كيمياء السعادة » يعنى بذلك الأكسير الروحى الذى إذا عثر عليه الانسان حظى بالسعادة

وقد استعملها ابن الرومى استعمالاً ظريفاً فى معنى قريب من هذا ، فقال يهجو أبا الصقر

عَجِبَ الناسُ من أبى الصَّقْــرِ إذولىّ ـ بعد الاجارة ـ الديوانا
إنَّ للجَدِّ كيمياءَ إذا مَا مَسَّ كلباً أحاله انسانا
يفعل الله ما يشاءُ كما شا ء متى شاء كائنا ما كانا

* * *

ثم سار الزمن الذى يغير كل شىء ، فغير ـ فيما غيره ـ مدلول كلمة « الكيمياء » وجعله قسما للطبيعة ، فكما أن الطبيعة اختصت بدراسة الظواهر التى تغير صفات الأشياء ولا تغير جوهرها ، اختصت الكيمياء بدراسة الظواهر التى تغير جوهر الأشياء ، فاتسع مدلولها ، وصار آخر ما تفكر فيه تحويل المعادن إلى ذهب إن كانت تفكر فيه

والذى أريد أن ألفت اليه النظر فى مقالى أن هناك كيمياء فى الأفكار والعواطف تشبه تلك التى فى المادة ، إلا أنها أعقد منها ، وأصعب حلاً ، وأغمض اكتشافاً ـ وإلى الآن لم توضع كتب ـ على ما أعلم ـ فى كيمياء المعانى على كثرة ما وضع فى كيمياء المادة ـ وإن كانت كتب علم النفس أحياناً تمس هذا الموضوع مساً رفيقاً

* * *

فلكيمياء الأفكار والعواطف فصول وأبواب لاعداد لها ، قد ينطبق عليها فى كثير من الأحيان فصول الكيمياء المادية وأبوابها ، ففى كيمياء المعانى ترشيح وتبخير وذوبان كالتى فى كيمياء المادة ، وفيها تبلور وتقطير ، وفيها عناصر ومركبات ومخاليط ، وفيها أحماض وأملاح وقواعد ، وفيها جزيئات وذرات لها أوزان وكثافات ـ ولها رموز وقوانين أدق من رموز الكيمياء المادية وقوانينها ، ولها معادلات أصعب حلاً وأبعد منالاً

هل علمت ـ مثلا ـ أن الماء يتكون من غازى الأوكسيجين والأيدروجين بنسبة واحد من الأول واثنين من الثانى باعتبار الحجم ـ فكذلك الشأن فى الأفكار والعواطف ، فقد يكون لديك فكرة من نوع ما ، أو عاطفة من نوع ما ، ثم تسمع فكرة من محدث ، أو تقرأ فكرة فى كتاب ، وتكون فكرتك من وزن خاص ، والفكرة التى سمعتها أو قرأتها من وزن آخر ، فتتحد هاتان الفكرتان ، وتتولد منهما فكرة جديدة لاهى من النوع الأول وحده ، ولا من النوع الثانى وحده ، بل هى نوع خاص ، علاقته بالفكرتين كعلاقة الماء بالأوكسيجين والأيدروجين

وهل علمت أنك إذا ملأت قارورة ثلثها بالأوكسيجين وثلثيها بالايدروجين ثم قربت فوهتها من لهب تسمع لذلك دوياً هائلا ؟ كذلك الشأن فى العواطف ، فقد يكون لديك عاطفة من نوع خاص ، ثم تسمع خطبة من نوع يناسبها فتنفجر نفسك لهذا الاتحاد انفجاراً هائلا ، وتحس ناراً تملأ نفسك . وتذكى حسك ؛ ـ أوليس الغضب يحمر وجه صاحبه وتنقدح عيناه ، ويجعله يقذف بالكلمات الحادة العنيفة ، ولا تهدأ ثائرته حتى ينتقم ـ ضرباً من ضروب هذا التفاعل الذى يشبه تفاعل الغازين ؟ أو ليست الحماسة تدفع الجندى ليرمى بنفسه فى خط النار ، ولا يقيم للحياة وزناً ، أثراً من آثار ما يسمع من كلمات القائد وما يشعر من جو وبيئة ؟ أوليس الحب يذيب النفس ، ويرهف الحس ، ويملأ القلب أسى حيناً ، وفرحاً وغبطة حيناً إلا نوعاً من هذا التفاعل دونه التفاعل المادى ، والاتحاد الكيمياوى ؟

وكل ما ندرك من فرق بين التفاعل المادي والتفاعل الروحي أنا استطعنا أن نخضع المادة لبساطتها فنحلل أجزاءها بالكهرباء أو ما أشبهها ونقيس مقدار المنصرين أو العناصر المتحدة، ونعرف مقدار كل منها، ونرصد أثر التفاعل. أما في الأفكار والعواطف فليس الأمر بهذه السهولة، فلكل انسان آراؤه وعواطفه وهي تختلف فيما بينها كل الاختلاف، في جوهرها، وفي قابليتها لأفكار الآخرين وعواطفهم، فقد نلقي الكلمة على عدد محدود من الناس فنشعر بأن أثرها عند كل انسان يخالف أثرها عند الباقين، كضوء النهار يفتح أعيننا ويغمض عين الخفاش، وقد يقرأ أحد كتاباً فيزعم أنه غيّر مجرى حياته، وقلب تفكيره رأساً على عقب، وألهمه من المعاني ما استحال بها انساناً آخر، وأحدث في نفسه ثورة فكرية لم يحدثها أي كتاب غيره، ويقرؤه انسان آخر فلا يشعر هذا الشعور ولا قريباً منه ولا يحس له ميزة ولا يجد له طعماً. وهذا بعينه ما يحدث في الأجسام، تقرب عود ثقاب مشتعل من ورق فيشتعل، وتقربه من ثلج فيذوب، وتقربه من رخام فلا يشتعل ولا يذوب. وأؤكد لك أن الرواية تعرض في السينما أو تمثل في المسرح على عدد كبير من الناس تؤثر في كل راء بمقدار لا يتفق تماماً وأثر الباقين، وأن تأثر المشاهدين متعدد بتعدد رؤوسهم. ذلك بأن الرواية وإن كانت واحدة وممثلوها متحدين فان هناك عاملا آخر من عوامل الوزن مختلفاً كل الاختلاف، وهو عواطف الرائي وآراؤه، وأن نتيجة التفاعل تختلف دائماً باختلاف أحد الممزوجين المتفاعلين

إن أردت التوسع في تطبيق هذه النظرية وجدت القول ذا سعة، فالبائع الناجح في المتجر ليس هو الذي يكثر الكلام أو يقل الكلام، وليس هو الخفيف الحركة، ولا هو المهندم الثياب، وإنما هو الذي يعرف شيئاً واحداً ويتقنه وهو « قانون التفاعل » ينظر إلى المشتري نظرة نافذة فيعلم نفسه، ويعلم نواحيها، ويعرف المواضع الحساسة منه، ويعرف في مهارة نقط التأثر عنده، ومقدار الأثر، ثم يستعمل في العرض وفي الكلام ما يتفق وما درسه من نفس المشتري، وإذا بما يصدر من البائع مناسب لنفس المشتري ومنفعل معها على نحو خاص، وإذا الصفقة قد تمت في سهولة ويسر، على حين أن زميله ومن بجواره لا يبيع مثل بيعه لأنه يخطىء في فهم نفسية المشتري فيتفاعل تصرفه تفاعلا عكسياً مع نفسية المشتري، فينتج من ذلك نوع من الغضب أو نوع من الكراهية أو نوع من المضاضة ينتهي عادة بالاعراض عن الشراء، فان سألت كيف جهل هذا وعلم ذاك، وأين درس أحدهما ولم يدرس الآخر فنجح الدارس وفشل الجاهل؟ قلت إن هذا الدرس لا يتعلم في المدرسة وإنما يتعلم في السوق، ويتعلمه من حسن استعداده الفطري وغريزته الطبيعية، بل إن شئت طبقت هذه النظرية على كل ناجح وفاشل في الحياة، فالمدرس الناجح من استطاع أن يتعرف نواحي تلاميذه ويعرف ما يُلقي ومالا يلقي، وما يقال ومالا يقال، ويصدر منه ما يتفاعل وهذه النفوس، فيصدر من ذلك التفاعل عطف وحنان وحب، ورغبة في المعلم، ورغبة في علمه، ورغبة فيما يقول، وتأثر بما يشير اليه

وما الأسرة السعيدة؟ وما الأسرة الشقية؟ أليست السعيدة من عرفت فيها الزوجة نفسية زوجها والزوج نفسية زوجته وعمل كل منهما على أن يصدر منه ما يتفاعل ونفس الآخر حتى ينتج هذا التفاعل تآلفاً، فاذا انحرف أحدهما عن هذا الوجه عن جهل أو عن علم ساء البيت. ونشأ تفاعل من جنس آخر نتج عنه البغض والكراهية والشقاق

الحق أن هذه كلها معادلات في الكيمياء النفسية تشبه تمام الشبه المعادلات الكيمياوية التي تجرب في المعمل، ومع الأسف لم يصل الناس إلى حد بعيد في دراسة هذه الكيمياء النفسية ولم ينشئوا لها المعامل الناجحة نجاح المعامل للكيمياء المادية، والخطأ في النفس كثير الوقوع لصعوبة تعرف الذرات النفسية وتكوين المعادلات الدقيقة

وإذا أدرك الانسان هذا التفاعل واختلافه ودقته أدرك خطورته، وخاصة فيمن يتصل مركزه بنفوس كثيرين كالصحفي والأديب، والمعلم والخطيب، والزعيم، فقد يصدر عنه ما ينفعل ونفوس الناس فيكون سما ناقعاً، وقد ينتج عنه ما يكون دواء ناجعاً؟

أحمد أمين

٢ – النهضة التركية الأخيرة

للدكتور عبد الوهاب عزام

ويقول آخرون ان الترك احتفظوا بالخلافة ما استطاعت قوتهم ، ووسعت ثروتهم . فلما نكبتهم الأحداث بما نكبتهم ، وضاقت رقعة دولتهم ، عجزوا عن الاضطلاع بهذا العبء الثقيل ، والتمسك بهذه الأمانة العظيمة فتركوها كارهين

وجوابنا أن بعض زعماء الترك أشاروا بأن يدعى المسلمون الى مؤتمر عام ويقال لهم ها كم خلافتكم قد عجزنا عن حملها ، فتشاوروا بينكم ، وتبينوا أمركم ، وسنّوا للخلافة سنة تلائم زمانكم ، وتواتى أحوالكم . واتفق رجال الحكومة التركية على هذا وأعلموا به عصمت باشا وهو فى لوزان . فلماذا نقض أولو الحول منهم ما أبرموه ، وسارعوا فنفضوا أيديهم من المسلمين وخلافتهم وآذنوهم أن لا أخوّة بيننا وبينكم ؟

المسلموله والتقليد

اذا نقدت أمة أمورها ، ونظرت فى أحوالها ، فنفذت الى بواطنها جهد النظر الثاقب ، والروية والفكر ، ثم هداها نظرها الى أن تستبدل سنة بسنة ، وحالاً بحال ، فتلك أمة رشيدة حميدة وان أخطأها الصواب — وقل أن يخطئها — لأنها بذلت جهد الانسان فى تبيّن الحق ، واجتهدت وسعها فى إيثار الرشد ، ولم تأل فى التريث والتمحيص والنقد المتثبت والنظر الصحيح

واذا أخذت أمة بأسباب التقليد ، وأغريت بالمحاكاة ، كلما لاح لها لألاء من أمة عشت اليه ، وكلما سمعت نغمة قوم هامت بها ، فتلك أمة ضالة وان نقلت عن غيرها هدى ، مخطئة وان أخذت عن غيرها صواباً . ذلكم بأنها حقرت عقولها ، وأغمضت عيونها ، وأسلمت الى يد غيرها أزمّتها ؛ لم تنظر لنفسها فتأخذ وتدع ، ولم تختر بعقلها فتستحسن وتستقبح ، بل خبطت خبط عشواء ، وانطلقت كالحاطب فى الظلماء . هى فى ذلك قد أهدرت انسانيتها بما ألفت ارادتها واختيارها . وان استمسكت فى ظاهرها بما أخذت من نظام ، واعتصمت فى رأى العين بما نسخت عن غيرها من سنن ، فذلكم ظاهر ليس وراءه باطن ، ورُواء ليس وراءه حقيقة . تلكم أمة ممسوخة . وقد سمعنا أن أمماً مسخت فأنكرنا ، وقيل إنها مسخت قروداً فعجبنا ، ثم رأينا عمل بعض الناس فى هذا العصر فصدّقنا

قد ابتلى كثير من المسلمين فى هذا العصر بداء التقليد ، وفشا فيهم خلق العبيد ، وحرموا النظرة النقّادة ، والعزمة النفّاذة ، والهمة الخلاّقة . رأوا سلاحهم أضعف من سلاح أوربا ، وعلمهم أقل ، ونظامهم أوهن ، فجعلوا ذلك تعلّة الى نبذ ما عندهم من خلق ودين وحضارة لتتحلل النفس من تكاليف الانسانية ، وتنطلق فى بحبوحة هذه المدنية . وزيّن لهم الهوى أن يقيسوا الدين والأخلاق على العلوم والصناعات ، فمضوا يرون كل شيء عندهم باطلا ، وكل شيء فى أوربا حقا ، فاستحسنوا أن ينبذوا كل ما عندهم ويأخذوا كل ما عند الأوربيين ، وخافوا أن يؤخذ عليهم الاستمساك بدينهم وأخلاقهم ، فتنافسوا فى هجرها وتحقيرها ، فما يحافظون على رأى أو خلق إلا أن تأتيهم شهادة عليه من عالم أو كاتب أوربى ، بل هم مدينون لأهل أوربا بما عندهم من ظن حسن فى حضارة الاسلام وتاريخه ، ومن زين منهم داره بفُرش عربية فانما يسميها (أربسكا) ويحاكى فيها أهل أوربا وهلم جرا ، حتى الأزهريون وهم أبعد الناس عن أوربا آثروا أن يسموا الجامع الأزهر جامعة ليترجموا كلمة Université ، وسموا كل قسم من أقسامه كلية ليوافقوا كلمة College

وكم قلت وقال غيرى إن المدنية الخلقية والدينية ليست كالمدنية الصناعية ، فالصناعات قائمة على علوم طبيعية لا تختلف فيها الأمم ، ولا يمتاز فيها الشرق من الغرب ؛ ليست مشتقة من نفس الانسان ، ولا صلة لها بقلبه ، فتستطيع أمة أن تأخذ عن غيرها علوم الطبيعة والكيمياء والحساب والفلك ونتائج هذه العلوم فى الصناعات دون أن تغير دينها أو تبدل أخلاقها ؛ ويستطيع زنجى من السنغال أن يذهب إلى فرنسا فيتعلم الطيران أو يدخل فى زمرة الجند فيصير عما قليل فى البصر بآلات الطائرات ، والدربة على نظام الجيش كالفرنسى ، ولكنه

وقع تحريف فى المقال السابق فى كلمة « خلعة سنوسية » فكتبت قلعة سنوسية

لا يستطيع أن يغير أخلاقه وعاداته ويكون فرنسيا فى خمسين سنة ؛ والحضارة النفسية هى الانسانية حقاً ، والمدنية فى صميمها وهى مشتقة من نفوس الأمة تفسد بفسادها وتصلح بصلاحها

ذلكم ما ينبغى أن نفكر فيه ، ونتوفر على درسه ، فان الأمم لا تصلح على الفوضى ، ولا تسيّر بالأهواء والشهوات ؛ ذلكم ما يجب أن يعنى به أولو الرأى من المسلمين ليأخذوا بحُجَز أممهم أن تتهافت فى هذا التقليد ، وتتردى فى هذه المهالك ؛ ذلكم ما يجب أن ينهض به الشعراء والكتاب ، ليضرموا فى النفوس الذليلة عزة تمنعها المحاكاة العمياء ، وكرامة تعصمها أن تسير كالعجماء . من لى فى المسلمين بعشرين رجلا من كبار النفوس عظماء الهمم ، البصيرين بالمدنيـة الحاضرة ، ظاهرها وباطنها ، العالمين بحضارة الاسلام جليّها وخفيها ، العارفين بأدواء الأمم وأدويتها ، لينيروا الطريق فى هـذه الضلالات المظلمة ، والفتن المدلهمة ؟ من لى فيهم بعشرين رجلا كهذا العالم الكبير والشاعر المبدع الذى تنفخ أنفاسه الروح فى الأجسام الهامدة ، والأمل فى القلوب اليائسة ، الرجل المبارك محمد اقبال الذى انبعث صوته فى الشرق بالحياة والهدى والعزة والكرامة ، والطموح إلى العلياء ، والسمو بالنفس إلى أعلى درجاتها ، تلك النفس الكريمة التى تسيل فى شعرها حسرات ، وتتطاير فى كلماتها زفرات ، فما تزال تقدح قلبها لتبعث شرارة بعد أخرى تنير الطريق الحالكة ، وتشعل النفوس الخامدة ، ذلك الرجل الحر الذى وقف من حضارة أوربا وفلسفتها موقف الناقد البصير ، يكشف عن زيوفها ويبين عن بهرجها

كم رأينا فينا علماء وأدباء وشعراء ومتفلسفين ، ولكن أكثرهم لا يفكرون ولا ينطقون إلا بما سمعوا وما قرأوا ، وهم لا يسمعون ولا يقرأون الاعن أوربا . ليس فيهم رجل حرّ يفجر فى قلبه من الحياة ينبوعاً ، أويضرم فيه من الغيرة ناراً ، ليلقى على كل قلب نضحة من هذا الماء ، وفى كل نفس جذوة من هذه النار ، ايه يا ضُلال التقليد ! وعبّاد الأصنام فى القرن العشرين !

إن عند المسلمين كنوزاً سفت عليها أعاصير الزمان وقد فترت هممهم ، وانطفأت نار الغيرة فى نفوسهم ، فآثروا الدعة حتى يأتى أهل أوربا يدلونهم عليها ويستخرجونها لهم ! وإن عندهم لنفائس تنادى هممهم وعزائمهم ، ولكنهم يؤثرون أن يتلقوا عن أوربا أشياءها مهيّأة فى عُلب مذهّبة ! ومن ركن إلى الدعة ذلّ ، ومن آثر اليسير من الأمور وأشفق من لقاء المصاعب فهو حىّ أشبه بميت ؛ وإليكم مثلاً من مئات :

لنا شريعة جاء بها القرآن والسنة وعملت فيها قرائح المسلمين بحثاً واستنباطاً ثلاثة عشر قرناً . فما بقيت واقعة إنسانية إلا اشتق لها حكم يلائم الزمان والمكان ، فصارت هذه الشريعة جماع تجارب الأمم فى عصور مختلفة وبلاد كثيرة . فلما أراد المصريون أن ينظموا القضاء عجزوا عن النظر فى هـذه الكنوز المدخرة ، وأشفقوا من الاضطلاع بهذا العبء الثقيل ، فأجلسوا نفراً يترجمون لهم قانون نابليون ، فتهيأ لنا قانون مختصر مرتب مفصل ، وأصبحنا نجارى فرنسا فى نظامها ، فقد طوينا مسألة القرون فى أشهر قليلة . وماذا علينا بعد ذلك أن يكون هذا القانون فى دين الأمة نكراً ، وفى أخلاقها شذوذاً ، وفى أفكارها أعجوبة ، وفى جسمها شللاً ، وفى نفسها موتاً ؟ لا ضير فقد أخذنا قانون نابليون وناهيك بذلك فخراً وتمدناً . . .

لو أن فى المسلمين أناسىّ يستوحون عقولهم ويستفتون قلوبهم لخلقوا لأنفسهم نظاماً ، وشرعوا لأنفسهم من دينهم قانوناً ، لو أنهم أصحاب همم لسلطوا هممهم على الزمان فأسرته ، ثم صرّفته طوع المشيئة ، ورهن الارادة ، ولما لبثوا يتملقون بالعصر ومقتضياته والزمان وفرائضه ، فان الرجل الحر سيد الزمان والمكان يسخرهما ولا يذل لهما . أين العزائم التى تلقى الزمان بملء خطوبه هيبة ، وتردّ أحداثه بأشد منها صولة ؟ آمين ثم آمين . . .

* * *

ومما أخذ فيه المسلمون بتقليد أوربا غلوهم فى النعرات القومية ، والتكاثر بالمفاخر التاريخية ، واعتزاز كل فريق بمآثره الجاهلية ، كأنهم لم يكونوا على الأحداث أعواناً ، ولم يلبثوا أربعة عشر قرناً إخواناً ! ! قيل للمصريين : أنتم أبناء الفراعين فارجعوا الى حضارة المصريين القدماء ، واعبدوا العجل لتقوموا بذلك شهداء . وقيل لأهل الشام : وأنتم يابنى الفينيقيين تمسكوا بتاريخ الأقدمين ، وائتوا بآبائكم إن كنتم صادقين ! وقيل للفرس : يابنى الأكاسرة لقد فتح العرب بلادكم ، وأزالوا مُلككم ، وفرضوا دينهم عليكم

فانفضوا أيديكم من أخوتهم ، وردّوا اليهم دينهم ، وارجعوا الى زردشت وإن لم تعرفوه ، واقرأوا كتابه وإن لم تفهموه ، فالباطل الايرانى خير من الحق العربى ! وقيل للترك ! وأنتم يا سلالة جنكيز المقدس ، وعبدة الذئب الأطلس ، قد كانت لكم فى سيبريا حضارة ، ثم كانت لكم فى قره قروم دولة ، فارتدوا الى حضارتكم الأولى ، وانزعوا الى وثنياتكم القدامى ، ودعوا مجدكم فى الاسلام ، واكفروا بمآثره عليكم ، ومآثر آبائكم فى تاريخه

دعيت كل أمة الى جاهليتها ، فذهب المسلمون ينبشون القبور ليعتزوا بحجر قديم وعظم رميم ، ويفخروا بعلامة من حضارة ، أو أثارة من مدنية ، وغفلوا عن مجدهم فى الاسلام يرجف به المشرق والمغرب ، وتضيء به الشمس والقمر . وليس أمة اسلامية ذات مجد فى الجاهلية إلا مجدها فى الاسلام أبهى وأبهر ، وأعلى وأعظم ، ولكنها عصبيات الجاهلية ، والفتن الأوربية ، تركس الانسان فى بهيميّته ، وتردّه إلى وحشيته

***

بينما يجهد عقلاء المسلمين لايقاظهم من رقدتهم ، ويحرقون أنفسهم لاشعال الحياة فيهم ، إذا « النهضة التركية الأخيرة » فقلنا حياة فى المسلمين جديدة ، ويقظة لا تلبث أن تصير شاملة . قلنا أولئك إخواننا زعماء المسلمين ينفخون فى الصور ، ليبعثوهم من القبور ؛ لعل هذه النفوس الكبيرة تخلق أمة جديدة ، أو تخترع لنا سنة رشيدة ، تصل عزة الماضى بمجد المستقبل وتذهب بذل الحاضر ؛ إن يخلُقوا فالرجل الحر خلاق ، وإن يسبقوا فالكريم الى المعالى سباق — لا ريب أننا سنرى فيهم عمر بن الخطاب ، وهارون الرشيد ، وعبد الرحمن الناصر ، وصلاح الدين الأيوبى ، وسليمان القانونى ، ولكن فى القرن العشرين يفتحون صدورهم لعلومه ، ويتوسلون بوسائله الى الغايات الشريفة والمثل العليا التى سعى إليها المسلمون من قبل . ثم نظرنا فاذا نفخة الصور ، لا تدعو إلى النشور ، وإذا الهمم العالية تسف ، والعزائم الماضية تهن ، وإذا حياة تجفل من نفسها وتعتز بغيرها ، وإذا نهضة من المحاكاة عليلة ، وخطة من التقليد ذليلة ، قصاراها : « اقطع كل ما يربطك بالاسلام وأممه ، وأحكم كل ما يصلك بأوربا وسننها »

فانظر ماذا صنعوا انفاذا لهذه الخطة :

(له بقية)

عبد الوهاب عزام

١ – شمس الدين السخاوى

حياته وتراثه

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أتيحت لى فى الأعوام الأخيرة فرصة لدراسة شخصية بارزة تتبوأ مكانة رفيعة فى آداب مصر الاسلامية ، وفى الآداب العربية بوجه عام ، وتمثل وحدها مدرسة فكرية زاهرة ، وتمتد عبقريتها الشاملة الى عدة نواح وفنون مختلفة ، وما زال تراثها الى اليوم يكون مجموعة قوية حافلة فى تراث الأدب العربى والتفكير الاسلامى

أريد بتلك الشخصية ، شمس الدين السخاوى الذى تملأ شخصيته الحركة الأدبية المصرية زهاء نصف قرن

كان السخاوى إحدى هذه العبقريات الأدبية التى تفتحت عصر فى القرن التاسع الهجرى (القرن الخامس عشر الميلادى) واختتمت بها مصر الاسلامية حياة أدبية باهرة سطعت مدى قرنين ؛ وكان ظهوره فى النصف الأخير من هذا القرن ، حينما أخذت عوامل الانحلال تفت فى هذا الصرح الباذخ الذى شادته دول السلاطين بمصر ، وأخذت الحركة الأدبية التى كانت فى النصف الأول من القرن التاسع فى أوج عنفها وازدهارها ، تميل الى الضعف والسقم ، وتستبدل ألوانها القوية الساطعة بألوان سطحية باهتة ؛ فكان ظهور السخاوى وتلميذه ومنافسه السيوطى فى أواخر هذا القرن نفثة أخيرة من نفثات هذه الحركة القوية التى لم تلبث أن خبت بعد ذلك وانهارت أمام الفتح العثمانى

— ١ —

ومن حسن الطالع اننا نستطيع أن ندرس شخصية السخاوى على ضوء حسن ؛ فلدينا أولاً معظم آثاره نقرأ فيها خواص تفكيره وأدبه ؛ ولدينا ترجمته لنفسه وعدة أخرى من التراجم المعاصرة ، نتتبع فيها حوادث حياته وظروف تكوينه

ولد السخاوى ، كما يحدثنا فى ترجمته لنفسه ، بمدينة القاهرة ، بحارة بهاء الدين[1] ، فى ربيع الأول سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٨ م)

(١) كان موقع هذه الحارة على مقربة من باب الفتوح ، وكانت من الأخطاط الجليلة فى ذلك العصر (المقريزى ج ٣ ص ١)

فى أسرة أصلها من بلدة سخا من أعمال الغربية ، واستقرت فى القاهرة قبل ذلك بجيلين . وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان ، شمس الدين أبو الخير السخاوى ؛ ولما بلغ الرابعة من عمره تحولت أسرته الى منزل جديد فى نفس الحى اشتراه أبوه ؛ وكان موقعه بجوار دار علامة العصر الحافظ ابن حجر العسقلانى[١] ؛ وكان لهذا الجوار أكبر أثر فى حياة السخاوى ، كما سنرى . وأنفق السخاوى بضعة أعوام فى المكتب وحفظ القرآن ؛ ثم أخذ يطوف بأشياخ العصر يتلقى عنهم مختلف العلوم والفنون ؛ ودرس النحو والعروض واللغة والفقه والحساب والميقات والأصول والبيان والتفسير والمنطق ؛ وهنا يعدد لنا السخاوى ثبت أساتذته وما أخذه عن كل منهم ، وما درسه من مختلف الكتب[٢] ؛ وتجلت مواهبه ومقدرته بسرعة مدهشة ؛ وأجاز له الكثيرون من شيوخه ، بل أجازوا له الافتاء ولما يبلغ العشرين بعد

وقد كان ابن حجر فى مقدمة أساتذته ؛ وكان ذلك الجوار الذى رتبته ظروف الحياة مبعث هذه الصلة الوثيقة التى استمرت مدى الحياة بين الأستاذ وتلميذه ، والتى بثت غير بعيد الى نفس الفتى نوعاً من العبادة الروحية لهذا الذى كان يعتبر يومئذ إمام الأئمة وقطب العلماء والباحثين . والواقع أن ابن حجر كان يتبوأ يومئذ مركز الزعامة العلمية فى مصر الاسلامية ، وكان فى ذروة نضجه ومجده ، وقد انتهت اليه الرياسة فى معظم علوم العصر ، ولا سيما الحديث والشريعة . وكان بدء اتصال السخاوى بأستاذه فى سنة ٨٣٨ هـ ، أعني وهو طفل لم يجاوز الثامنة ؛ وكان يذهب مع أبيه ليلاً إلى مجالس الشيخ فيستمع الى دروسه فى الحديث . ويصف لنا السخاوى علاقته بأستاذه فى عبارات مؤثرة تنم عما كان لهذه العلاقة من عظيم الأثر فى تكوينه فيقول متحدثاً عن نفسه : « وقبل ذلك كله سمع مع والده ليلاً الكثير من الحديث على شيخه إمام الأئمة الشهاب ابن حجر ، فكان أول ما وقف عليه من ذلك فى سنة ثمان وثلاثين ، وأوقع الله فى قلبه محبته ،

(١) كانت دار ابن حجر تقع بالقرب من المدرسة المنكوتمرية داخل باب القنطرة بحارة بهاء الدين أيضاً (خطط المقريزى ج ٣ ص ٨٤ والتبر المسبوك للسخاوى ص ٢٣٣)

(٢) راجع ترجمة السخاوى لنفسه فى كتابه الضوء اللامع — نسخة دار الكتب الفتوغرافيــة (رقم ٦٧٥ تاريخ) المجلد الرابع القسم الأول ص ٦٧ — وهى المشار اليها فيما يلى

فلازم مجالسه ، وعادت عليه بركته فى هذا الشأن . وأقبل عليه بكليته اقبالاً يزيد على الوصف بحيث تقلل ما عداه . . . وداوم الملازمة لشيخه حتى حمل عنه علماً جماً ، واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه ؛ وأعانه على ذلك قرب منزله منه ، فكان لا يفوته مما يقرأ عليه إلا النادر . . . وينفرد عن سائر الجماعة بأشياء . وعلم شدة حرصه على ذلك فكان يرسل خلفه أحياناً بعض خدمه لمنزله ؛ يأمره بالمجىء للقراءة »[١]

وهنا يفيض السخاوى فى ذكر الكتب والمتون التى قرأها ودرسها على شيخه ابن حجر ، سواء من تصنيفه أو تصنيف غيره ، ومعظمها فى الحديث ؛ ودرس عليه أيضاً التاريخ والتراجم ؛ ودرس فى الوقت نفسه على كثير من شيوخ العصر ؛ ويعدد لنا السخاوى كثيراً من شيوخه ويقول لنا انهم بلغوا أكثر من أربعمائة ؛ بيد أن ابن حجر كان دائماً إمامه وشيخه المفضل ، وقد أذن له غير بعيد فى الاقراء والافادة والتصنيف. ؛ ويقول لنا السخاوى إنه لم ينفك عن ملازمة استاذه ، ولا عدل عنه بملازمة غيره من علماء الفنون خوفاً على نقده ، ولا ارتحل الى الأماكن النائية بل ولا حج إلا بعد وفاته ؛ لكنه حمل عن شيوخ مصر الواردين اليها كثيراً ، وفى الأوقات التى لا تعارض وأوقاته سيما حين اشتغاله بالقضاء وتوابعه » . وقد لبثت هذه العلاقة الوثيقة بين التلميذ وشيخه حتى توفى ابن حجر فى أواخر سنة ٨٥٢ هـ[٢]

وهنا تبدأ المرحلة الثانية فى حياة السخاوى ؛ وهى مرحلة درس وتحصيل أيضاً ولكن خارج مصر . وكان السخاوى يومئذ فى الثانية والعشرين من عمره ؛ ولكنه كان رغم حداثته قد برز فى كثير من العلوم التى تلقاها ؛ وكان قد استأثر فى هذه الأعوام الطويلة التى قضاها إلى جانب ابن حجر بكثير من علمه ومعارفه ، وتأثر أعظم تأثير بأساليبه ومناهجه ؛ بل نستطيع أن نقول إن السخاوى كان بعد ابن حجر ، مستودع علمه وتراثه ؛ وكان أشد تلاميذه تمثيلاً لمدرسته ؛ بل كان بعد شيخه زعيم هذه المدرسة وأستاذها القوى يرفع لواءها ويحمل مناهجها حتى خاتمة القرن التاسع ؛ وقد أشار ابن حجر نفسه فى أواخر أيامه إلى

(١) الضوء اللامع — المجلد السابق ذكره ص ٦٨ — وكذلك التبر المسبوك ص ٢٣٢

(٢) الضوء اللامع . ترجمة السخاوى لنفسه فى المجلد المشار اليه — (ص ٦٩) — والتبر المسبوك (ص ٢٣٢ و ٢٣٣)

تلك الحقيقة ، وكثيراً ما وصف السخاوى بأنه « أمثل جماعته » أو « ممثل جماعته » [١]

وسافر السخاوى عقب وفاة استاذه إلى دمياط ودرس على شيوخها حيناً ؛ ثم سافر مع والدته بحرا إلى مكة ليؤدى فريضة الحج ؛ وانتهز هذه الفرصة فدرس على شيوخ مكة والمدينة ، وطاف بالبقاع والمشاهد المقدسة كلها ؛ ثم عاد إلى مصر ، وسافر إلى الاسكندرية وقرأ بها مدى حين ؛ وزار معظم عواصم الوجه البحرى وقرأ على شيوخها الأعلام جميعاً ، وحصل كثيراً من الفوائد والمعارف . ثم رأى أن يقوم برحلة إلى الشام لزور معاهدها ، ويتعرف بشيوخها ؛ فسافر إلى فلسطين وطاف ببيت المقدس والخليل ونابلس ؛ ثم قصد إلى الشام ، وزار دمشق وحمص وحماه ، ثم استقر حيناً فى حلب ؛ كل ذلك وهو يدرس ويقرأ على أعلام هذه العواصم ؛ ويقول لنا إنه « اجتمع له فى هذه الرحلة من الروايات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف » ؛ ويبدو من تعداده للكتب التى درسها وقرأها فى هذا الطواف ، أنه كان يعنى بدراسة الحديث والقراءة والنحو والفقه وعلوم البلاغة والتصوف . ولم يعين السخاوى لنا تواريخ تنقلاته فى هذه الرحلة ، ولكن الظاهر أنها استغرقت بضعة أعوام

ولما عاد السخاوى إلى مصر ، عكف على التدريس ، ولا سيما تدريس الحديث ، أحياناً بمنزله ، وأحياناً بخانقاه (معهد) الصوفية المعروف بسعيد السعداء ؛ وكذا انتدب فى أوقات مختلفة للتدريس فى أعظم مدارس القاهرة كدار الحديث الكاملية والصرغتمشية ، والظاهرية ، والبرقوقية ، والفاضلية وغيرها ؛ وذاع صيته واقبل عليه الطلاب من كل صوب . وفى سنة ٨٧٠ هـ سافر مع أسرته - وكان قد تزوج يومئذ ورزق بعض الأولاد كما يفهم ذلك من إشارته إلى مولد ولده أحمد [٢] - ومع والدته وأكبر أخويه إلى الحج للمرة الثانية ؛ وصحبه أيضاً فى تلك الرحلة صديقه وأستاذه النجم بن فهد الهاشمى - وكان من أعلام العصر . ودرس بمكة مدى حين ، وقرأ بالمسجد الحرام بعض تصانيفه وتصانيف غيره . ولما عاد إلى القاهرة استأنف دروسه واملاءاته ؛ وتبوأ مركز الزعامة يومئذ فى علم الحديث ، وشغل فيه نفس المركز الذى كان يشغله فيه استاذه ابن حجر قبل ذلك بثلاثين عاماً .

(١) راجع « الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة » (مخطوط دار الكتب) فى ترجمة السخاوى — وراجع شذرات الذهب (ج ٨ ص ١٥) (٢) الضوء اللامع — المجلد المشار اليه ص ٧٣

ثم حج السخاوى للمرة الثالثة فى سنة ٨٨٥ هـ ، وقضى بمكة عاماً فى التدريس والدرس ؛ ثم حج سنة ٨٧ وقضى ثمة حيناً فى الدرس والاقراء ؛ وحج للمرة الخامسة فى سنة ٩٢ هـ وقضى ثمة عاماً آخر فى الدرس والاقراء ؛ ثم حج فى سنة ٩٤ ، وقرأ الكثير من دروسه وتصانيفه ، وغدت مكة وطناً ثانياً له ؛ وكتب بها كثيراً من مؤلفاته كما سنرى

ولما عاد إلى القاهرة فى سنة ثمان وتسعين (٨٩٨ هـ) استقر بمنزله ، وأبى الدرس والأقراء فى المعاهد والحلقات العامة « ترفعاً عن مزاحمة الأدعياء » حسب قوله ، وترك الافتاء أيضاً واكتفى بالاقراء فى منزله لخاصة تلاميذه ؛ وكان السخاوى قد أشرف يومئذ على السبعين من عمره ، ولكنه استمر منكباً على الدرس والتأليف ؛ وكانت قد انتهت إليه الرياسة يومئذ فى معظم علوم عصره ، ولا سيما الحديث ، حتى قيل إنه فاق شيخه ابن حجر فى ميدانه ، وانتهى اليه فن الجرح والتعديل ، حتى قيل لم يبلغ أحد مكانته فيه منذ الحافظ الذهبى [١] ؛ وكانت شهرته قد تعدت حدود مصر منذ بعيد وذاعت فى أنحاء العالم الاسلامى ، ولاسيما فى الشام والحجاز حيث تلق عليه مئات العلماء والطلاب ؛ ولبث السخاوى رغم مكانته العلمية الرفيعة ونفوذه القوى بعيداً عن ميدان السياسة ودسائس البلاط والمناصب الرسمية ؛ واقترح عليه صديقه الأمير يشبك الداوادار أن يقرأ التاريخ بمجلس السلطان الظاهر خشقدم [٢] فأبى ؛ ثم عرض عليه أن يتولى القضاء بعد ذلك ، فاعتذر وأشار بتعيين خصمه ومنافسه السيوطى رغم ما كان بينهما من الخصومات الأدبية الشهيرة [٣]

وأقام السخاوى حيناً فى القاهرة ؛ ثم سافر إلى مكة ليحج المرة السابعة ؛ وعكف بعد أداء الفريضة على الاقراء والدرس ، وتردد حيناً بين مكة والمدينة ؛ ثم استقر أخيراً بالمدينة ؛ واستمر فى الاقراء بها حتى توفى فى ١٣ ذى القعدة سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٧م) [٤] فى الحادية والسبعين من عمره

(للبحث بقية) — محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع) — المحامى

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١٧
(٢) حكم من سنة ٨٦٥ — ٨٧٢ هـ
(٣) الضوء اللامع — المجلد المشار اليه — ص ٨٦ و ٨٧
(٤) هذه هى رواية صاحب الكواكب السائرة ؛ ولكن صاحب شذرات الذهب يضع وفاته بمكة فى ٢٨ شعبان سنة ٩٠٢ هـ (ج ٨ ص ١٧)

مكتبتي

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

مكتبتي شيء عظيم جداً ـ ولست أعني أنها كبيرة ضخمة ، وأن في خزاناتي آلافاً مؤلفة من المطبوع والمخطوط ، فما عندي مخطوط واحد ، ولا ولوع لي بجمع هذا الضرب من الكتب ، وما يمكن أن تبلغ كتبي الآلاف بعد أن احتجت أن أبيع منها مرات ، وإني لمجنون بالكتب ، ولكن جنوني بما فيها لا بأشكالها وألوانها على رفوفها . وقد اعتدت الا أبالي أن يبقى الكتاب عندي بعد أن أقرأه أو أن يذهب ، ولم أكن كذلك ، ولكن المرء مما تعود . وعلى أنه سيان أن أحتفظ بالكتاب وأن أبيعه كما اشتريته ، أو أهبه ، فما الى الوصول اليه سبيل في هذه الخزانات ، ولأهون عليّ أن أشترى منه نسخة أخرى من أن أهتدى الى موضعه وأعرف أين اختبأ . ومتى كان هذا هكذا ، فما حرصي على كتاب يجاورني ويهرب مني وأنا أدور بعيني على الرفوف ؟؟

وليس أثقل علي ، ولا أشق على نفسي من الاقامة في بيت واحد زمناً طويلاً ، ولو وكل الأمر لاختياري لاتخذت كل يوم بيتاً ، ولكن الكتب راضتني على السكون وردتني على مكروهي ، فأنا الآن كالمقعد لا أكاد أتحول ، إلا أن أحمل على الانتقال حملاً ؛ ذلك أني كلما سكنت بيتاً ، أروح أتخير للكتب أوسع الحجرات وأكثرها شمساً وهواء ، ثم أقول دعوا الصناديق والغرارات حتى أفتحها وأخرج ما فيها وأرتبه بنفسي ، فتترك شهوراً ، تنقلب الحجرة في خلالها مزبلة ، فيتبرم أهلي ويلحون عليّ أن أفرغ الصناديق

فأقول : « لا بأس . موافق »

فتسألني زوجتي : « ومتى تفعل ؟ »

فأعدها خيراً ، فتلح عليّ ، فأؤكد لها أني فاعل ذلك غداً إن شاء الله

فتقول : « إن شاء الله معناها عندك أنك لن تفعل أبداً »

فأقول : « استغفرى الله يا امرأة ! إن شاء الله يعني إن شاء الله ، أليس كذلك ؟ »

فتقول : « ولكني أريد تنظيف الغرفة ! ألا ترى هذا التراب ؟ »

فأقول : « صحيح ! كثير »

لأني أحب أن أقر بالحق وأكره المكابرة ، فتهمل الثناء على ذلك وتقول :

« وهذه الصراصير ؟ والفيران ؟ لا . لم يعد هذا بيتاً يُسكن »

فأقول : « ألا أقول لك وأريحك ؟ »

فتقبل عليّ مسرورة وتسألني : « ماذا ؟ »

فأقول : « أفرغي أنت الصناديق ، ورصى الكتب على الرفوف ـ على أي ترتيب ـ وارفعي التراب ، واقتلي الصراصير ، وطاردي الفيران ـ وعلى الجملة ، نظفي الغرفة ـ هيه ؟ ما قولك ؟ »

فتوافق ، وأعود من عملي فألفى المكان نظيفاً ، فلا فيران ولا صراصير ولا تراب ، ولا صناديق ، ولكني أحتاج أن أرجع الى كتاب ، فأفتح خزانة بعد أخرى وأنظر الى ما تكدس على رفوفها فأرتد يائساً وأصيح بزوجتي :

« يا امرأة ! أين وضعت ابن الرومي ؟ » مثلاً !

فتقول : « عندك بالطبع »

فأسألها : « أواثقة أنت أنك لم تضعيه في المطبخ ؟ »

فتقول محتجة : « المطبخ ؟ كيف تقول هذا ؟ أهذا جزائي على تعبي ؟ »

فأقول : « معذرة ، ولكني لا أراه هنا »

فتقول : « ابحث عنه »

فأبحث ـ أعني أني أروح أخرج من الخزانة صفاً بعد صف ، وأضع ما أخرج على الأرض هنا وههنا ، حتى تخور قواى ، وينفد صبري ، ويهى جلدي ، وأنظر الى ما فرشت به الأرض فأجزع ، وأغافلها ـ أعني زوجتي ـ وأتسلل خارجاً ، وأرد الباب ورائي حتى لا ترى شيئاً

وأعود في الليل ، وفي ظني أنها نائمة ، وفي عزمي أن أعيد الكتب الى الرفوف ، فأفتح الباب برفق ، فاذا الكتب قد وثبت بقدرة ربك ، وصفت نفسها على الرفوف ، وتزاحمت ، ودخل بعضها في بعض ـ خوفاً من الفيران ولا شك ! فأتنفس الصعداء وأفرك كفيّ ، وأقول : « الحمد لله ! ياما أكرمك يارب ! » وإذا بزوجتي تقول : « وآخرتها معك ! ألا يمكن أن تعيد كتاباً إلى موضعه بعد إخراجه ؟ ألا بد أن ينشف ريق

كل يوم بسبب هذه الكتب ؟ شيء غريب والله ! كيف ومتى يمكن أن أفرغ للبيت إذا كانت هذه الغرفة هماً لا ينقضي ؟ »

وأحب مرة أخرى أن أقرأ في كتاب ، فأدخل الغرفة ، فتدخل ورائي تجرى ، وتتناول ذراعي وتشدني فأستغرب وأسألها « ماذا ؟ »

فتقول بحدة « ماذا أنت ؟ »

فيزيد عجبي وأقول : « ماذا أنا ؟ ألا تعرفين ماذا أنا ؟ سيدك يا ستي ! »

فتقول وهي تجاهد أن تعبس ، والضحك يغالبها : « دع المزاح الآن ! ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فأقول « شيء جميل ! وكيف يعنيك هذا يا امرأة ؟ »

فتقول : « يعنيني مصير الغرفة — هذا ما يعنيني ياسيدي — ولست أنوي أن أدعك تقلبها مزبلة فقد ورمت كفاي من العمل فيها »

فأقول : « وماذا تصنع هذه العجوز ؟ تأكل وتشرب فقط وتقبض أجرها آخر الشهر ؛ وهذه الفتاة الخفيفة لماذا لا أراها تعمل شيئاً غير اللعب مع الأولاد ؟ وتلك الثالثة . . . أهو بيت أم دكان مخدم ؟ أريد أن أعرف هذا أولاً »

فتقول : « لا تحاور . إن الكتب لا يمسها غيري ، فاني أخاف عليها التمزيق . . »

فأشكرها ، فتقول : « العفو ! ولكني أخاف منك على الغرفة ، فاصنع معروفاً وارجع عنها »

فأسألها : ولكن كيف أرجع وأنا أريد كتاباً ؟ »

فتقول : « لا تتعبني . . . من فضلك . . . أرجوك »

فأشعر لها برقة وأقول : « يا امرأة ! هل استطعت قط أن أرفض لك رجاء ! ؟ »

وأتبعها ، وأنصرف عن الكتب والقراءة ، وأعزي نفسي بأني كنت سأنصرف لا محالة عن ذلك مرغماً ، فما أطمع أن أجد كتاباً أطلبه

من هنا صار المعقول أني إذا اشتهيت أن أقرأ كتاباً أو أردت أن أراجعه ، أن أشتريه ، وقد أشتريه ، وأضعه على المكتب إلى المساء ، فتراه زوجتي فتفتح خزانة وتدسه في صف ، وأعرف ما صنعت به ، فأشتري نسخة أخرى ، ومن أجل هذا أيضاً صار عندي من بعض الكتب ثلاث نسخ أو أكثر

وقال لي أخي مرة : « يحسن أن ترتب هذه الكتب »

قلت : « يا أخي ، كيف أصنع ؟ »

قال : « أجيئك ببطاقات ، تكتب فيها أسماء الكتب مرتبة على حروف المعجم ، فاذا طلبت كتاباً ما راجعت البطاقات ، فسهل عليك إخراجه »

قلت : « رأي سديد — هات البطاقات »

فجاءني ببضع مئات منها ، ودفع بها إلي ، فنظرت اليها وشكرته ثم قلت له :

« أما البطاقات فجاءت ، وأما الكتابة فيها فأحسبها تقتضي أن أخرج الكتب واحداً واحداً ، وأقيد أسماءها ، ثم . . . »

فصاحت زوجتي : « لا لا لا لا ! أرجو . . . أرجو ألا تفعل . . . »

فالتفت اليها وقلت : « يا امرأة ! كيف ترضين عن هذه الفوضى ؟ بل لا بد من الترتيب »

فقالت : « أنا واثقة أن الكتب لن ترتب . وكل ما يحصل هو أن تخرجها وتكومها على الأرض وتتركها ، فيغطيها التراب ، وتجتمع عليها الصراصير ، فأعود إلى نفض التراب وطرد الصراصير . . . لا ياسيدي ! لن أسمح بهذا أبداً ! »

فنظرت إلى أخي وقلت : « أتسمع ؟ إنها لا تسمح ! فما رأيك ؟ »

قال : « الحق معها . ولو كنت أنا مكانها . . . »

فلم أدعه يتم الجملة وصحت به : « أعوذ بالله ! »

فشكرني ، وقال « إنما أعني . . . »

فعدت إلى مقاطعته وقلت : « دع ما تعنيه ، من فضلك ، وحسبك أنك نغصت علي حياتي ! »

فدهش وقال : « كيف ؟ »

قلت : « سأرى وجهك بعد الآن كلما نظرت إلى امرأتي . . . أعوذ بالله . . . يا ساتر يارب . لطفك اللهم ! »

وقد حرصت على البطاقات ، لأقيد فيها أسماء الكتب مرتبة على حروف المعجم ، فما من هذا مفر ، ولكن العقدة أن زوجتي تؤثر الترتيب الحالي ، وقد بلغ من رضاها عنه وخوفها عليه أن يضطرب أو يفسد ، أنها أخفت مفاتيح الخزانات لا أدري أين ؟ بارك الله فيها — أعني زوجتي لا الخزانات

ابراهيم عبد القادر المازني

ساعة فى البقيع *

للأستاذ على الطنطاوى

خرجنا اليه فى سُفرة الطَّفل ، وقد سكرت الريح ، وسجا المساء . وكان اليوم رَوْحاً ، فما تجاوزنا أزقة المدينة الضيقة الملتوية وبدا لنا سور البقيع الهائل الذى أقاموه فى وجه مدينة الموت كيلا تبتلع مدينة الحياة ... حتى هبّت الرياح لواقح ، فأنشأت سحاباً ما لبث أن اكفهر وتطخطخ وعمّ السماء ، فأظلمت الأرض واسودّت ، وعادت كئيبة تملأ النفس غماً . وكنا قد بلغنا البقيع ، فرأيته موحشاً مظلماً رهيباً :

« قاتم الأعماق خاوى المخترق »

وشممت منه رائحة الموت ، فهبت دخوله فى هذه الأمسية ، وأزمعت العودة ، ولكن صاحبي أصرّ علىّ وشجعنى ، ثم أخذ بيدى فاذا أنا وراء السور ، وإذا ساحة فسيحة ، ممتدة الجوانب ، مظلمة الأرجاء ، ساكنة سكون الموت ، ليس فيها بناء ولا قبة ولا تابوت ، كأنما لم يسمح لبشر أن ينصب فى حرم الموت معالم الحياة ، أويدنس دار البقاء بشارات الفناء ... فأغمضت عيني ، وشددت على ذراع صاحبي ، وجعلت أدنو منه لما أجد من الوحشة وأحس من الجزع ، وما عهدتنى من قبل أعرف الخوف أو أدرى ما الجزع ، فسار بى يقودنى حتى هبط بى غوراً عميقاً ، حال بيني وبين الفضاء ، وحجب عنى السور الذى كنت أراه فآنس برؤيته ، وأذكر أنها لا تزال وراءه دنيا حافلة بالنور والجمال والحياة ... فلم أعد أرى شيئاً ، وامحت من خيالى كل صورة ، وطارت من راسى كل فكرة ، إلا فكرة الفناء ، وصورة الموت ، وأحسست وأنا أهبطه أنى هابط إلى القبر ! وخيل إلىّ أن أشباح الموتى ترقص من حولى ، وتدنو منى وتمسني وتهمّ بعناقى ، فتقف كل شعرة فى جسمى ، ويزداد قلبي خفقاناً ، وتتخاذل ركبتاى حتى أهم بالسقوط ، ويطنّ فى أذنى صوت رهيب مستطيل يلقى فى روعى أنه نشيد الفناء . . . وكان كل مايحفّ بى مخيفاً رائعاً ، فالقبور ، والظلام الشامل ، والسكون العميق ، والسماء التى لا تطرف فيها من النجم عين ، والمكان الذى لا تبلغه نسمة من نسمات الحياة ، وجلال الموت ، كل أولئك كان يخيفنى ، ويصب فى قلبي الوحشة والفزع . . . ثم صاحت بومة على سور المقبرة ... فاستمسكت بصاحبي وقلت : عد ويحك !

قال : كيف أعود وقد بدأت الزيارة . . . هذا قبر عثمان !

وكأن ذكر عثمان قد رجع إلىّ نفسى ، فنظرت فلم أجد قبراً ولا شيئاً يشبه القبر ، وإنما وجدت حجارة صغيرة قد صففت على وجه الأرض ، وفرشت من حولها رمال حمراء ناعمة ، كحوض أعدّ لتزرع فيه الورود ، فقلت :

— أتهزأ بى يا ...

قال : لا والله . ولكني أقول الحق . هذا قبر عثمان

قلت : يا لسخرية القدر ! أتحرثون موضع قبر عثمان أمير المؤمنين لتزرعوا فيه الورود ؟

قال : أى ورود ؟ كل القبور هكذا . . .

قلت : لعلك أخطأت القبر . اذهب فاقرأ اسمه

قال : قد طمست الأسماء ، فما عليه من اسم . ولكن ثق أنه هو . أعرفه من هذه الغضاة !

وأشار إلى غضاة قريبة منه لا أدرى كيف دخلت حرم الموت فأنست بها . وذكرني الغضى دنيا مليئة بالصور ، مترعة بالحياة نفت عنى بعض ما أنافيه من الغربة والجزع ، فقلت :

— وكيف تعرف غيره من القبور ؟

قال : ما أعرف إلا قبور آل البيت ، وقد كنت أعرف قبر مالك فاختلط علىّ ونسيته ، ولكن يعرفه إذا شئت (العم محمّد) خادم المقبرة ، وبعض الشيوخ من أهل المدينة . . .

***

وانقطع الحديث فقد استشرى البرق وائتلق ، ورعدت السماء ، ثم هطلت بمطر بُعاق قشر وجه الأرض . وجعل فيها بُرَكاً وأنهاراً ، فلم نجد شيئاً يعصمنا من الماء نأوى إليه ، إلا هذه الغضاة وما تكاد تعصمنا . . . والمطر فى الحجاز أعجب شيء رأيته : فبينا الشمس طالعة ، والأرض مُتَسعِّرَة ، واليوم خَدِر عصب ، إذا السماء قد تلبدت بالغيوم ، ودوّت بالرعد ، والأمطار

* البقيع مقبرة أهل المدينة ، وقد كتب هذا الفصل فى المدينة المنورة ، وهو من فصول كتاب « الصحراء » الذى سيصدر قريباً فى وصف رحلة الوفد السورى إلى الحجاز

قد نزلت كأفواه القرب ، واليوم قد عاد قرا بارداً ، ثم لا تلبث حتى تنجلى السحب ، وتصحو السماء ، فتنظر فاذا الأرض قد بدلت غير الأرض ، وإذا السيول قد جرفت البيوت ، وخرّبت الطرق ، وطمست المعالم ، كما يطمس سطر سال عليه الماء ...

ولقد ظنناها سحابة صيف ولكنها لم تنقشع ، ولم تزدد الأمطار إلا شدّة وتهطالاً ، ولم يزدد الرعد إلا قعقعة وقصيفاً ، حتى كأن الدنيا مجنونة ، عاودتها نوبتها ، فهى تصرخ وتقفز وتمزق ثوبها بيدها ، وتشق حنجرتها بصراخها ... بيد أنى لم أكن أحفل بالبرد ولا بالمطر ، ولم أكن أذكر الخوف ولا الجزع ، ولم أكن أفكر إلا فى هؤلاء الأبطال الذين فتحوا الدنيا ، وملكوا العالم ، ثم ضنوا عليهم بقبر يعرف ، أو اسم يقرأ ، أفكر فى هؤلاء العظماء ...

... كم انحنت تحت أقدامهم هام الجلاميد الصُّم حتى وطئوها ، كم استكانت لهم هذه الرمال الهائلة حتى قطعوها ، كم دانت لهم البادية المهلكة حتى جابوها ، ليخرجوا منها فاتحين إلى أرض الرياض والعيون ، فيبلغوها رسالة الصحراء ، وينشروا فيها دين الصحراء !

لقد انتصروا على البادية المهلكة ، والشمس المحرقة ، والجوع القاتل ، والعطش المميت ، والعدو الجبار ، والجيش الجرّار ، ثم انتصر عليهم البقيع ، فاذا هم مستقرون فى أحشائه ، وإذا هم قد ناموا فيها إلى الأبد ، فلن يذهبوا إلى الحرم ليقيموا الصلاة ، ولن يمتطوا ظهور جيادهم ليمشوا الى الجهاد ، ولن يحملوا الراية الاسلامية لينصبوها على أقصى العالم ، ولن تستقبلهم زوجاتهم وأولادهم إذا عادوا ظافرين ، بل هم لا يرون طلعة الشمس ولا يبصرون صفحة القمر ، ولا يسيرون على وجه الأرض ...

انتصرت أيها البقيع ؛ فما وفيت ولا أنصفت ... جاءك الأبطال الذين فتحوا الدنيا ، ونشروا راية العدل على الأرض ، وأضاءوا طريق الهدى للناس ، ليستريحوا فى أرجائك ، ويناموا فى حماك ، فحرمتهم قبراً يعرف لهم ، وحجراً تكتب عليه أسماؤهم

ما نريد منك أن تنقش على قبورهم آيات التبجيل والثناء . فإن لهم من أسمائهم الكبيرة ، غنية عن كل تبجيل وثناء (١) ، لكنا نريد ألا تنسى هذه الأسماء

سيموت الشيوخ الذين يعرفون هذه القبور ، أفيرضيك أيها البقيع أن يأتى الجيل الجديد ، فيفتش عن هذه القبور فلا يجدها ، فيقول : هاتوا المعول ، هاتوا الأحجار ... ابنوا هنا ملعباً ! لا نجد فى المدينة خيراً من هذه الساحة ، إنها لا تترك أرض سدى ! ثم بينهم يتقاذفون الكرة ، إذا بهم يخطئون فيتقاذفون واحدة من هذه الجماجم ...

أنسيت أيها البقيع أن كل مسلم يحسّ أنه يملك فى هؤلاء الأبطال ملكاً ، وأن هذا الرفات ليس من حقك وحدك ، ولكنه حق لكل مسلم ولد أو يولد إلى يوم القيامة ... وأنك إن طمست هذه الأسماء ، حتى يجهلها المسلمون ، أسأت إلى كل المسلمين ؟

أنسيت أن أضيافك عظماء البشر ، أفتستحق العظمة هذا الاهمال الشائن ، وهذا النسيان المخزى ، أم ذنبهم أنهم لم يكونوا فرنجة ولا انكليز ؟ ! أفيكون البانتيون لأبنائه أوفى منك لأبنائك أيها البقيع ؟

إنه لم ينقص من مجدهم أنها لم تشيد لهم القبور ، ولم تنقش أسماؤهم على صفائح الحجر ، وحسبهم أنهم شيدوا مجداً وبنوا أمة وكتبوا تاريخاً ، فاذا نسى التاريخ أبطاله ومنشئيه ، فقدما نسى التاريخ الأبطال ! وهل ذكر التاريخ أولئك الجنود الذين سقوا الأرض بدمائهم حتى أنبتت مجد نابليون فاقتطفه ؟.. هل ذكر أولئك القصاص الذين أهدوا إلى شكسبير قصصهم الرائعة فرواها ؟ هل ذكر أولئك الملاحين الذين غامروا بأرواحهم حتى أوصلوا كولومب إلى الساحل الجديد وأمسكوا بيده حتى نزل إليه ؟ .. ماذا كان نابليون وشكسبير وكولومب لولا أولئك الأبطال المجهولون الذين نسيهم التاريخ ؟

لا بأس أيها البقيع فان البطل الحق هو الذى لا يعرفه أحد !

* * *

وازداد الرعد قرقرة وهزيماً ، وعقّ البرق وتكلّح ، وأغدقت السماء وجادت ، وعصفت الريح وأججت (١) وجنت الدنيا جنونها ، فنظرت فاذا السيل قد جرف قبر عثمان فلم يبق له من أثر .. فقلت : اطبقى يا سماء ، وتشققى يا أرض ، وتصدعى يا جبال ... إن من ملكوا العالم لا يجدون القبور ....

على الطنطاوى

(١) ولا نريد أن تقام لهم هذه المقامات التى ترتكب عندها أنواع المعاصى ويؤتى فيها المنكر ، فنحن من أشد الناس إنكاراً لهذا

(١) تعمدنا اختيار هذه الألفاظ ليطابق الوصف الموصوف

القاضي النسوي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

ما أكثر الذين لم يوفهم التاريخ حقهم من البحث والتنقيب وقد أحاط بهم الغموض والابهام وراحوا ضحية الاهمال فلا ترى لهم اسماً في الكتب التاريخية ولا ذكراً في معاجم الأعلام والعلماء! من هؤلاء الذين كاد يطغى عليهم النسيان أبو الحسن على أحمد النسوى، فهو من رياضيي القرن الخامس للهجرة من بلدة نسا بخراسان، لم يكتب عنه إلا ما لا يشفي غلة المنقب، وقد أهملته المصادر إهمالاً معيباً، وإذا اطلعت على تاريخ الرياضيات (لسمث) وجدت عنه نبذة لا تتجاوز عشر كلمات، وهي أن النسوى ألف في الحساب الهندى وشرح بعض المؤلفات لأرشميدس؛ وتجد أيضاً في كتاب آخر يبحث في الأرقام الهندية العربيـة تأليف سمث وكاربنسكى: أن النسوى من الذين استعملوا كلمة الهندى لتدل على الحساب في القرن الحادى عشر للميلاد. وأما كتاب الآثار الباقية فيقول عن النسوى إنه لم يتمكن من العثور على شيء عن حياته، ومع ذلك فقد استطاع أن يكتب عنه بصورة أوسع من غيره من المؤلفين معتمداً في ذلك على مقدمة كتاب المقنع لصاحب الترجمة. ومن هـذه الترجمة يفهم أن النسوى ينتسب لمجد الدولة بن فخر الدولة حاكم العراق الفارسي. ويقال إن مجد الدولة هذا طلب من النسوى أن يؤلف له كتاباً في اللغة الفارسية يبحث في الحساب الهندى على أن يكون موافقاً لديوان محاسبته يمكن الانتفاع منه، وقد كان ما أراد الحاكم وخرج الكتاب إلى الناس فانتفعوا منه وعنه أخذوا الشيء الكثير لمعاملاتهم؛ وقد اطلع شرف الدولة أمير بغـــداد على هذا الكتاب، ويظهر أنه رأى فيه فائدة وانتفاعاً فأمر النسوى بأن يؤلف له كتاباً باللغة العربيـة يكون على نمط الكتاب المذكور، وقد كان لشرف الدولة ما أراد، فأخرج النسوى كتاباً سماه (المقنع) وقد وُفق فيه كثيراً، فيقول عنه صالح ذكى: «إن المقنع هو نموذج حقيقى يدلنا على المرتبة التى بلغها الحساب الهندى في العراقين العربي والفارسي في أوائل القرن الحادى عشر للميلاد...» ولهذا الكتاب مقدمة ينتقد فيها الذين تقدموه من المؤلفين الرياضيين وينتقد فيها أيضاً معاصريه من واضعى كتب الحساب، وينحى باللائمة على كل هؤلاء ويقول إنه وجد تشويشاً وتطويلاً في الكتب الحسابية التى وضعها الكندى والانطاكى، كما أنه وجد في مؤلفات على بن أبى نصر في الحساب تفصيلاً لا لزوم له، وأن هناك كتباً أخرى (في الحساب) للكلواذى فيها صعوبة وفيها التواء وفيها تعقيـد لا تعود على القارئين بالفائدة المتوخاة. ويقول أيضاً إنه لا يريد أن يجعل بحوثه في كتابه تدور على موضوع واحد، وأنه لا يريد أيضاً أن يحذو حذو الدينورى الذى ألف كتاباً عنوانه يدل على أنه كتاب يتناول موضوعات الحساب المختلفة بينما هو في الحقيقة يتناول حساب النجوم فقط وليس فيه تعرض لأى فرع من فروع علم الحساب، وهذا (على رأيه) مالا يجب أن يكون؛ والنسوى لا يريد أيضاً أن يكون في كتابه هذا مثل كوشيار الجيلى الذى وضع كتاباً في الحساب تعب منه الايجاز وعنوانه لا يدل بحال من الأحوال على ما تضمنه من بحوث حسابية وأعمال رياضية

ولهذا كله (يقول النسوى): فقد رأى الضرورة تدعوه الى أن يخرج إلى الناس كتاباً يتجنب فيه الأغلاط التى وقع فيها غيره من ايجاز يجعل المادة صعبة غير واضحة، ومن اطناب يدخل إلى نفوس القارئين السأم والملل. وبالفعل أخرج للناس كتاباً كان فريداً في بابه جمع فيه أحسن ما في كتب المتقدمين والمعاصرين، وقد أضاف اليه كثيراً من نظرياته ومبتكراته، ووضع كل ذلك في قالب سهل المأخذ لا صعوبة فيه ولا تطويل، يمكن للطالب والتاجر والراصد ولكل من يريد الوقوف على أصول المعاملات المتنوعة في الأمور الحسابية أن يستفيد منه؛ ولقد جعل النسوى هذا الكتاب في أربع مقالات، تبحث الأولى في الأعمال الصحيحة، والثانية في الكسور، والثالثة في الأعمال الصحيحة مع الكسرية، والرابعة في حساب الدرج والدقائق: فالمقالة الأولى تتناول الموضوعات التالية: أشكال الأرقام وترقيم الأعداد، جمع الأعداد الصحيحة، ميزان جمع الأعداد الصحيحة، تضعيف الأعداد، طرح الأعداد الصحيحة، ميزان طرح الأعداد

الصحيحة ، تنصيف الأعداد الصحيحة وميزانها ، ضرب الأعداد الصحيحة وأنواعه ، ميزان ضرب الأعداد الصحيحة ، تقسيم الأعداد الصحيحة وأنواعه ، ميزان تقسيم الأعداد الصحيحة ، استخراج الجذر التربيعى للأعداد الصحيحة ، ميزان استخراج الجذر التربيعى للأعداد الصحيحة ، استخراج الجذر التكعيبى للأعداد الصحيحة وميزان استخراج الجذر التكعيبى للأعداد الصحيحة . وأما المقالة الثانية فتبحث فى الأبواب الآتية : ترقيم الكسور ، جمع الكسور ، طرح الكسور ، ضرب الكسور ، تقسيم الكسور ، استخراج الجذر التربيعى للكسور واستخراج الجذر التكعيبى للكسور . وتتناول المقالة الثالثة البحوث الآتية : الكسور المركبة وترقيمها ، جمع الكسور المركبة وطرحها وضربها وتقسيمها وكيفية استخراج الجذرين التربيعى والتكعيبى لها . وأما الرابعة فتتضمن ما يلى : أصول ترقيم الكسور الستينية وكيفية جمعها وطرحها وضربها وتقسيمها ، واستخراج الجذرين التربيعى والتكعيبى لها . ومن الاطلاع على محتويات هذا الكتاب يتبين للقارىء أن الكتاب قيم وفيه بحوث تفيد الناس على مختلف طبقاتهم فى متنوع معاملاتهم . ومما يدل على طول باع النسوى فى الرياضيات وعلو كعبه فيها اعتراف الطوسى بفضله وعلمه ، فقد كان يلقب النسوى بالأستاذ ، ولهذا اللقب أهميته عند الطوسى ، ولاسيما أنه من الذين يعرفون قيمة العلماء ومن الذين لايخلعون الألقاب على الناس بدون استحقاق ؛ ولا عجب فى أن يكون هو من المعجبين بالنسوى المقدرين لنبوغه وعبقريته ، فلقد استفاد كثيراً من كتاب (تفسير كتاب المأخوذات لأرشميدس) فى مؤلفه (المتوسطات) وهذا الكتاب أى (كتاب التفسير) من الكتب التى كان لها أهميتها الكبيرة فى تاريخ الرياضيات ، وقد ترجمها إلى العربية ثابت بن قرة . قال صاحب كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون : « مأخوذات أرشميدس مقالة ترجم منها ثابت بن قرة خمسة عشر شكلاً وقد أضافها المحدثون إلى جملة المتوسطات التى يلزم قراءتها فيما بين أقليدس والمجسطى . . . » وكان للنسوى نحو تفسيرها وشرحها شرحاً دل على مقدرته وقوة عقله . . .

نابلس قدرى حافظ طوقان

عرائس المولد النبوى

فى الأدب الفرنسى

للأستاذ م . هداية

أليس غريباً هذا العنوان ؟ أو ليس فيه إشارة لطيفة إلى تقصير أدبائنا ؟

هنرى نوبل أديب فرنسى أقام فى مصر ردحاً من الزمن حتى جعلها فى أشعاره وطنه الثانى . وقد هام بجمال مصر وتقاليدها ، وسجل كثيراً من أعيادها القومية والدينية ، ووصف كثيراً من شوارعها وجوامعها الأثرية أبرع وصف . وله ديوان مطبوع باسم «شرق وأدب» حوى الكثير من الأسرار الساحرة فى مصر ، أحس بها هو ولم نحس بها نحن !

ولست هنا فى صدد تعريف هذا الشاعر الناثر أو تحليله ، وإنما قصدت أن أنقل إلى قراء (الرسالة) جزءاً من قطعة له كتبها سنة ١٩٢٣ على إثر جولة جالها ليلاً بشارع الموسكى فى مولد سيدنا الحسين ــ قال:

« . . . وعلى جانبى الجامع كانت الأنوار المنبعثة من دكاكين الحلوى تشع فى الليل المتأخر فتجعل منه ظهراً . وكانت هذه الحوانيت متقاربة متلاصــقة : اتصل بعضها ببعض اتصالاً لا تقطعه ثغرة ، حتى لا ترى من مجموعها سوى نضد واحد ممتد . وقد غُطيت كلها بأنواع شتى من الحلوى : فمنها « الحمصية » وهى حلاوة رُصعت بالحمص ، و «السمسمية» وهى مثلها إلا أنها بالسمسم ــ وهذه كثيراً ما يتهافت عليها صغار التلاميذ فى الأيام العادية ، فيقبلون على شرائها من الباعة المتجولين كل يوم منجذبين إليها بلذاذة طعمها وبجمال النداءات ذات النغمة الساحرة التى يغنيها الباعة ، مع اللبن الملفوف حول خيوط رفيعة . . . ثم « الجوزية » وهى نوع تتلاشى أمامه « النوجا » الفرنسية وتحسدها عليه مدينة مونتلمار . . . يلى ذلك صفوف طويلة من « العرائس » تكاد تتشابك أذرعتها فتخالها فى مجموعها كأنها فى موكب !

عرائس جذابة ، عذارى من الحلوى ! أبكار توشك أن

تزف إلى عُرسها قد صبوها صباً من السكر المذاب ! وقد صبغوا لهن ... خدودهن الصغيرة بشيء من « الأحمر . . . » ، وكحلوا عيونهن بالكحل الشرقي الساحر ، ثم ألبسوهن فساتين ساذجة لونت بألوان زاهية من أصباغ اليمن . وأما الشعر فقد رُصِّع بأنواع براقة من الخرز الفضي الملون ، وحجاب رقيق من الشاش المهلهل النسج زين أيضاً بقتائل من القصب الوهاج ، وأشرطة من الورق المذهب ، قد أسدل بلباقة وكياسة على رأسها ، ثم تدلى بعضه إلى الأمام ليحجب عنك أيها المحب الشغوف وجهها الحلو الباسم ، فلن ترى جمال تقاطيعه إلا حين تكشف عنه بيديك - يوم الزفاف !

« كم حدثتني نفسي في هذه الساعة أن أحمل واحدة من هذه العرائس المصرية الصغيرة فأضمها إلى قلبي ، ثم أذهب بها هنالك ، في ركن منعزل ، نائياً عن أعين الناس ، بعيداً عن كل ضوضاء ، وفي هدوء وراحة نفس ، أسبل عيني ثم أضع شفتي على شفتيها الحمراوين فأتذوق منهما شيئاً . . ! »

***

هكذا الشاعر يخلق من كل شيء جمالا

وبينما أنا أمر ليلة المولد بهذه « العرائس » تذكرت خيال هذا الشاعر فوقفت سابحاً في أحلامي . . .

ولكن جدة تقتاد حفيدين لها قد دفعتني على غير قصد واقتحمت الزحام . وبعد مساومة ليست بالطويلة خرجت تحمل « سريراً » صغيراً زين بأستار هفهافة من القماش الملون بالأحمر والمذهب والمفضض ، وأبت الطفلة إلا أن تحمل « عروستها » بنفسها ، وأما الطفل فقد حمل حصاناً أحمر عليه فارس . . .

هذا الثالوث المزاحم قد أخرجني من حلم ليدخلني في حلم آخر : الجدة فخور لأنها أنجزت تقليداً تعتبره مقدساً ، وهي مسرورة لأنها عاشت واشتركت في ذكرى الرسول المرة السبعين

أما الطفلة فأي سرور يملأ قلبها ! انظر إليها وهي تجذب جدتها من ملاءتها لتسرع الخطى . . . فهي تريد أن تصل إلى البيت أسرع ما يمكن لترى أمها عروستها الجميلة وسريرها البديع ، وهي تريد أن تقابل صويحباتها زكية وتفيدة وإحسان لتقنعهن بأن عروستها أكبر .. وأنها تملك سريراً ..

وقد بلغ الثلاثة البيت ؛ فالجدة متذمرة لأنها لم تجد الدكاكين مزدانة بالثريات والبيارق الحمر والخضر والصفر مثل « زمان » .. ومحمود الصغير اقتنع مسافة الطريق بأن حصانه لا يستحق الاحتفاظ به طويلاً . . وأنه لا يحقق له أملا واحداً من آماله : هل أستطيع أن أركبه وأضربه بالسوط ؟ .. إذن ... وبقضمة واحدة طير رأس الفارس بأسنانه ! ثم ابتدأ في رأس الجواد . . .

أما فاطمة فعروستها ستحيا عندها طول حياتها ، لأنها صورة منها ، ولأنها تمثل أحلامها الحلوة ، فهي قطعة من نفسها !

انظر إليها الآن وقد عادت فرحة بعد أن قابلت صويحباتها ، انظر إليها وقد جلست في انهماك ترتب السرير « لعروستها »

استمع إليها الآن وهي تغني لها بصوتها العذب الحلو غير الفصيح أنشودة من أناشيد الزفاف !

انهض ياشاعري العزيز وتعال مسرعاً ، ثم انصت في جلال . تعال يا شاعري « فههنا سحر وجمال ! »

م . هداية



١٧ ـ قصـــة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكى

وكيل كلية العلوم

بستور Pasteur

صـــلة حديثه

وأخذت حياة بستور تصير إلى غير ما عـهد العلماء من حياة قابعة قاسية . وأصبح يجرى تجاريبه ليجيب بها على ما قام حول نظريته الجرثوميّـة من اعتراضات كثيرة ، فكانت إجابات قوية مفحمة رنّانة دوت أصداؤها فى الجماهير ، لأنها أُجريت لتنقع غُـلّة الجماهير أكثر مما تنقع غُـلّة العلم الهادئ والبحث الرزين . ولـكن على الرغم من استدراجه العلمَ إلى الأسواق وسحبه إلى غُمار العامة ، كانت تجاريبه رائعة الصنع محذوقة الاجراء ، وكانت كأقباس من نار مست خيالات الناس فألهبتها ، وآمالهم فأحيتها

وجلب على نفسه خصومة صخابة أقامها بينه وبين رجلين فرنسيين طبعيين Naturalists يدعى أحدهما إفريمى Fremy والآخر إتريكل Trecul ، دارت حول الخمائر والطريقة التى بها تحيل عصير العنب خمرا . فأقرّ «إفريمى» بأن الخمائر لابد منها لهذه الاحالة ، ولـكنه ادّعى أن هذه الخمائر تنشأ من ذات نفسها فى باطن العنب ، وقام فى الأكادمية يناقش هذه الدعوى فى جهالة فسخر أعضاؤها منه وضحكوا جميعاً ، إلا بستور فـكان من المحنقين

« إفريمى يقول إن هذه الخمائر تنشأ داخل العنب من ذات نفسها ! إذن فلأصنع له تجربة تقطع لسانه » . وأخذ بستور عدة قوارير مستديرة ، ووضع فيها شيئاً من عصير العنب ، ثم مط رقابها ولواها كأعناق الأوز ، ثم أغلاها دقائق وتركها أياماً ثم أسابيع ، فلم تظهر فى العصير فقاقيع ، ولم يعله رغاء ، ولم يختمر أصلا ؛ ثم ذهب إلى كرمة فقطف منها بضع عنبات بلغت النضج ولم تعدُه ، وغسل ظاهرها بماء نقىّ بقلم من الشَّعر عقمه بالتسخين قبلا ، وأخذ قطرات من ماء الغسول ونظرها تحت المجهر فوجد بها قليلا من كرَيّات الخمائر المعهودة . وعندئذ أخذ عشراً من تلك القبابات الملتوية الأعناق ، وبمهارة فائقة لحم فى جانبها أنبوبة مستقيمة طويلة ، ومن هذه الأنبوبة أسقط قطرات من ماء الغسول ذى الخمائر . ولما جاء القبابات بعد أيام وجدها جميعاً مرغيـة إلى عنقها رغوةً تضرب إلى الحمرة دليل اختمار طيب مرضى . وتبقى من ماء الغسول بقيـة ، فأغلاها وأسقط قطرات منها فى عشر قبابات أخرى فلم يحدث فيها اختمار لأن الاغلاء قتل الخمائر

قال بستور : « الآن وقد أثبتُّ أن الخمائر توجد على ظاهر العنب ، سأثبت لهذا الجاهل إفريمى بتجربة رائعة أن هذه الخمائر لا توجد فى باطن العنب » ، وأخذ أنبوبة جوفاء رفيعة كان قد أسخنها فى النار ليقتل ماقد يكون علق بها من أحياء ، ثم سدّ طرفها ، وكان رفيعاً حاداً ، فرفعـه برفق إلى داخل عنبة خارقاً جلدها ، ثم كسر هذا الطرف داخلَ العنبة فاندفع بعض عصيرها فى الأنبوبة ، وبمهارة ولباقة لا تبارى نقل هذا العصير إلى قبابة بها عصير عنب كان قد عُقم بالتسخين . ورجع اليها بعد أيام فماوقع بصره عليها حتى صاح : « لاحياة لأفريمى بعد اليوم ، فعصير العنب بالقبابة لم يختمر ، وبطن العنب خلو من الخمائر » . ثم استطرد فنطق بقضيّة جامعة شاملة ؛ قال : « إن المـكروبات لا تنشأ من ذات نفسها فى بطون الأعناب وديدان الخز وأجسام الحيوانات الصحيحة ، وهى لا توجد فى دم الحيوان ولا فى بوله . فان هى وجدت فى شىء من ذلك فانما دخلت اليه من الخارج » ولـكأنى بك تسمعه يتحدث إلى نفسه : « وستعلم الدنيا قريباً ماتؤدى اليه هذه التجربة البسيطة من إحداث معجزات بليغة »

— ٨ —

ولم يمض وقت طويل على هذا حتى ظهر أن أحلام بستور لم تـكن أضغاثاً ، وأن ماخاله من امّحاء الأمراض على ظهر الأرض لم يكن أملاً جامحاً . فجاءه كتاب من الجرّاح الاسكتلندى « لستر » Lister يذكر فيه إعجابه الشـديد به وسروره الـكثير بأعماله ، ويصفـ له فيه طريقة جديدة لفتح أجسام المرضى وإجراء العمليات الجراحية فى نجوة من ذلك الوباء الخفى الذى اعتاد أن يذهب فى المستشفيات بحياة ثمانية من كل عشرة من الرجال والنساء . كتب له لستر يقول : « فأنا أستميحك فى أن أشكرك

شكراً خالصاً إذ هديتني بأبحاثك الجيدة إلى الحق فى أمر هذه الجراثيم التى تسبب التعفن والفساد ، وأنرت لى السبيل إلى النظرية الوحيدة التى لا ينجح تعقيم إلا بها . وإذا أنت تحملت المشقة فزرتنا فى أدنبره فسوف لا تأسف على هذه الزيارة إن شاء الله، لأنك سترى بعينك فى مستشفياتنا كثيراً من الخلق المساكين قد استفادوا استفادة كبرى من أعمالك »

ففرح بستور بهذا الخطاب فرح الطفل أنجز تركيبَ قاطرة فدار بها على إخوانه يريهم ما صنعت يداه . ولم يكتف بهذا بل نشر الكتاب بكل مديحه فى المجلات العلمية ، وزاد فنشره فى كتاب له عن البيرة ! ! ولم يشأ أن ينقضى هذا الحادث دون أن يلكُم إفريمى المسكين لكمة أخيرة ، وقد يحسب حاسبٌ أن تجارب بستور كان فيها لأفريمى لكمات مشبعات كافيات . ولم ينل من إفريمى نيلته الأخيرة بذمه ، وإنما نالها بمدح نفسه وتمجيد تجاربه والثناء على نظرياته . قال : « إن محك النظريات مقدار إثمارها وكمية نفعها » . وصمت إفريمى فلم يحر جواباً

وشغل حديث المكروب أوروبا كلها ، وعلم بستور أنه هو الذى وجه أنظار الناس إلى المكروب وإلى خطورته فلم يعودوا ينظرون اليه نظرتهم إلى اللُّعبة الغريبة المسلية ، بل عرفوا مقدار نفعه لبني الانسان واستيقنوا من ذلك ، وكانوا على وشك أن يعرفوا مقدار ضرره لبني الانسان كذلك ، وكيف أنه على صغره يعيث فيهم تلصصاً واغتيالاً . وأولت فرنسا بستور شرفاً كبيراً إذ نصَّبته أولَ رعاياها . وشرفته الأمم — حتى بلاد الدنمارك أقام خمّاروها له التماثيل فى معاملهم وأثنوا عليه خيراً

ومات فجأة « كلود برنار » Claud Bernard ، فقام أصدقاء هذا الرجل الكبير بنشر مؤلف له لم يبلغ تمامه ، وكان مؤلفاً فى تخمر عصير العنب ، ختمه برنار بدحض نظرية بستور كلها وعزز دعواه بأسباب عدة ، وبلغ بستور الخبر فلم يصدق أذنيه . برنار يفعل هذه الفعلة ! برنار المعظم ، جليسه فى الأكاديمية ومطريه ومطرى أعماله دائماً ! برنار الذى سارقه الضحكات وبادله الغمزات وناقله الفكاهات فى أكاديمية الطب عن أولئك الأطباء ذوى الثياب الزرقاء ، والأزرار النحاسية الصفراء ، والأنوف الوارمة والرؤوس الجوفاء ، أولئك الأطباء الذين قاموا حجر عثرة فى سبيل دخول التجربة الصحيحة إلى الطب والتطبيب !

وأخذ بستور يتمتم لنفسه : « ناقضنى هؤلاء الأطباء الأغبياء ، وناهضني أولئك الطبيعيون الحمقى ، وكان فى هذا من السوء مافيه . ووازرنى العلماء ، ومجّد أعمالى الكبراء ، فما بال برنار يأتى اليوم بالذى أتاه . . ؟ »

ذُهل بستور ، ولكن لم يطل به الذهول . وقام يطلب أصولَ المؤلَّف والأوراق ذاتها التى خطها برنار بيده ، فأعطوه إياها . فقعد يجمع أشتات فكره لدراستها ، فوجد أن ما صنعه برنار لم يكن إلا مبادئ تجريبية ومحاولات تقريبية . وسرّه وأبهجه أن كشف أن أصدقاء برنار لم ينشروا ما كتبه بنصه كاملاً ، بل زادوا وحذفوا ، فأحكموا الحذف وحذقوا الزيادة ، كىّ يستقيم الكتاب ويصحّ لدى القارئين . وذات يوم قام فى الأكاديمية فعرّ أعضاءها ، وأساء الى رجالات فرنسا إذ أنحى باللوم اللاذع القبيح على أصدقاء برنار لتهجّمهم بنشر كتاب يجرؤ على التشكك فى نظرياته ، وإذ صرخ صرخات عنيفة مرذولة إلى برنار ، وبرنار فى قبره لا يستطيع دفعاً عن نفسه ، وعقّب على هذا بنشر رسالة فى نقد أبحاث صديقه القديم ، رسالة أعوزها الذوق السليم ، رسالة تتهم برنار — وهو رجل عالم من قمة رأسه إلى أخمصه — باقتباسه الخرافة من كثرة صحبته للأدباء النابهين من أعضاء الأكاديمية ، رسالة تحاول أن تثبت أن برنار فى آخر أبحاثه كَلّ بصره فلم يعد يرى الأشياء ، وتهزأ به فتقول احتمالاً إن بصره طال طولاً لم يَمُدّ معه يرى المخاثر القريبة . وألحّ بستور فى هذا النقد حتى ترك العامة تحسب أن برنار أصابه خرف الشيخوخة فى آخر أيامه عندما كتب كتابه هذا . وفقد بستور الحسّ بالحسن والقبيح ، وفقد مقاييس اللياقات ، فأخذ فى ثورته يدق بقدميه على قبر برنار دقات ثقيلة كادت تُقلق جثته تحت التراب

وأخيراً ثاب إلى رشده ، وسلك فى رده على برنار السبيل التى يؤثرها كل عاقل على مقالة السوء ولغو الكلام . تلك سبيل التجربة . فأجرى تجارب غاية فى الابداع . وجرى على طريقة الأمريكيين إذا هم أرادوا بناء ناطحة من ناطحات سحابهم فى ستة أيام . فهرع إلى مخازن البيع فاشترى قطعاً من الزجاج

عظيمة ، وهرع إلى النجارين ، وطلب اليهم أن يصنعوا من هذا الزجاج بيوتاً كرابى النبات يَسهُل حملها ويُستطاع نقلها وتركيبها . وقام على أعوانه يستحثهم فى انجاز قبابات وتجهيز مكرسكوبات وتعقيم لفافات من القطن ، فنسوا الطعام وعَزَّهم النوم . وفى وقت بالغ القصر جمع كل هذه الأشياء وسافر بها الى بيته العتيق فى جبال الجورا . ونفض يده فى أثناء ذلك من كل عمل ، وأشاح بوجهه عن كل اعتبار ، واتجه بكل نفسه قُدُماً الى اثبات أن نظريته فى التخمّر نظرية صحيحة

وما بلغ بلدته أربوا حتى ذهب إلى كَرْمته ، ولم يُضع وقتاً سُدى ، فقام على بيوت الزجاج التى جاء بها فنصبها على بعض أعنابه فحجبتها عن الهواء الخارج حجباً محكما . وأخذ يفكر : « هذا الصيف قد تنصّف ، والعنب لايزال فجاً ، وأنا أعرف أن العنب فى هذا الوقت لايحمل على جلده خمائر أصلاً » . وأراد أن يزيد وثوقاً من ذلك ، فلفّ بعض المناقيد فى بيوت الزجاج بلفافات القطن التى كان سخنها مساعدوه ليقتلوا ما علق بها من الأحياء . وأسرع فى العودة إلى باريس واصطبر بها على أحر من الجمر حتى ينضج العنب ، ونفد صبره يوماً فجاء أربوا وكله أمل أن يثبت أن برنار كان خاطئاً ، ولكنه وجد العنب لايزال فجاً فعاد خائباً . ونضج العنب أخيراً ، فأخذ يمتحن جلود العنب ببيوت الزجاج تحت المجهر ، فلم يجد عليها خميرة واحدة . وقام من على المجهر ثائراً ، فأخذ شيئاً من هذا العنب فعصره فى قبابات أجاد تسخينها لتعقيمها ، وتركها فلم تظهر فى عصيرها فقاعة للتخمّر واحدة . وعصر عنباً من كرمة خارج بيت الزجاج ، فهذا استحال عصيره الى خمر سريعاً . وما انتهى من هــذا حتى جمع بعض تلك العناقيد الطهور الخالصة من الخمائر ، واعتزم ليحملنها الى الأكاديمية ويهدى كل عضو أحب عنقوداً ، ثم يتحداهم أجمعين أن يخرجوا من هذه المناقيد المصونة خمراً . . . وقد أيقن أن هذا محال إلا إذا هم أدخلوا الخمائر اليها . . . وأمّل من وراء كل هذا أن يثبت لهم أن برنار خانه الحظ فى الذى قال ، وركبوا القطار الى باريس ، وظلت مدام بستور المسكينة فى جلستها الطويلة مستقيمة الظهر تحمل أمامها عناقيد العنب حذر أن تسقط لفائف القطن عنها

وجاء موعد انعقاد الأكاديمية ، فقام بستور يصف لرجالها كيف صان عنبه من الخمائر فلم تنلها . وصاح فيهم : « أليس عجيباً أن أرض كرمتى يوم بدأتُ تجاربى لم تكن بها حصوة إلا استطاعت أن تخمّر عصير العنب ! وما يصدق على كرمتى يصدق على كروم الدنيا الواسعة . ثم أليس عجيباً بعد هذا أن بيوت الزجاج التى نصبتها خلت أرضها من الخمائر فلم تستطع لعصير العنب تخميرا ! ثم أتدرون لماذا ؟ لأنى فى الوقت المناسب حجبت هذه الأرض عن الهواء بتلك البيوت من الزجاج ! . . . »

وخرج من هذا إلى نبوءات عجيبة ، إلا أنها على غرابتها قد تحققت اليوم . نبوءات كالوحى ، وخيالات كالشعر ، تجملك تنسى خصومته القبيحة المرذولة التى أثارها على برنار . قال : « أفلا يجوز لنا بعد هذا أن نؤمن بيوم هو لا بد آت يستطيع فيه الانسان أن يحمى نفسه من الوباء حماية أرض هذه الكرمة من خمائر الهواء » . وكانت الحمى الصفراء أصابت أرليانزة الجديدة New Orleans فتركت عامرها خراباً ، فقام يصوّر لهم تلك النازلة الفادحة تصوير فنان ماهر ، وصور لهم كذلك فعل الطاعون الأسود على شواطئ الفلجا ، فلما روعهم وقشعر أجسامهم ، ضرب نغمة جديدة سرت فيهم بالرجاء

وفى هذه الأثناء ، فى قرية صغيرة فى شرق ألمانيا كان طبيب بروسى صغير السن ، مدوّر الرأس ، حرونٌ ، آخذ فى ترسم الطريق الذى يؤدى به إلى نفس تلك النبوءات التى تنبأ بها بستور هذا الدكتور الشاب كان يسارق مرضاه الوقت ليفرغ لتجارب يجريها على الفئران ، وليستخرج طرائق فى معالجة المكروب يتعرف بها شخصية كل نوع فلا تختلط عليه أجناسها ، وليأتى بأمر لم يستطع بستور اتيانه على رغم حذقه وعلوّ كعبه

والآن ، فلندع بستور الى حين ، ولنقف عند هذه المرحلة من حياته ، ولو أنها مرحلة ستأتى من بعدها تجارب قام بها بستور كانت من أروع ما قام به فى حياته ، ومناقشات أثارها كانت من أفكه المناقشات ؛ لندع ذلك لنعرج إلى روبرت كوخ Robert Koch لنرى كيف غزا دولة المكروب وقد كانت وقفاً على بستور سنين طوالا

(يتبع)

أحمد زكى

٢٦ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الاستاذ زكي نجيب محمود

ـ حدثني إذن ماهو الشيء الذي يجعل الجسم حياً بحلوله فيه ؟

فأجاب : هو الروح

ـ أهذه هي الحال دائماً ؟

فقال : نعم ، بالطبع

ـ إذن فمهما يكن ما تملكه الروح ، فانها إذ تأتيه تحمل إليه الحيـاة ؟

ـ نعم ، يقيناً

ـ وهل ثمت ضد للحياة ؟

فقال : نعم هناك

ـ وما هو ذاك ؟

ـ الموت

ـ إذن فلن تقبل الروح أبداً ، كما اعترفنا ، ضد ذلك الذي تسوقه . ثم قال : والآن ، بماذا سمينا ذلك العنصر الذي يقاوم الزوجي ؟

ـ الفردي

ـ والعنصر الذي يقاوم الموسيقيّ أو العادل ؟

فقال : غير الموسيقيّ وغير العادل

ـ وبماذا نسمي ذلك العنصر الذي لا يقبل الموت

فقال : الخالد

ـ وهل تقبل الروح الموت ؟

ـ كلا

ـ إذن فالروح خالدة ؟

فقال : نعم

ـ أيحق لنا القول بأن ذلك قد ثبت بالدليل ؟

فأجاب : نعم يا سقراط ، لقد ثبت بأدلة كثيرة

ـ وإذا فرضنا أن الفرديّ لا يخضع للفناء ، أليس يلزم أن ثلاثة غير قابلة للفناء ؟

ـ طبعاً

ـ وإذا كان الشيء البارد غير قابل للفناء ، ثم جاء العنصر الدافيء يهاجم الثلج ، أفلا ينبغي للثلج أن يتراجع متماسكا متجمداً لأنه عندئذ يستحيل عليه أن يفنى كما كان يستحيل عليه أن يبقى مع قبوله للحرارة ؟

فقال : حقاً

ـ وكذلك لو كان العنصر الذي لا يبعث البرودة ، أي الدافيء ، مستعصياً على الفناء ، لما فنيت النار وما انطفأت حين تغير عليها البرودة ، ولـكنها تنأى بغير أن تتأثر ؟

فقال : يقيناً

ـ ويمكن أن يقال هذا القول نفسه عن الخالد : لو كان الخالد مستعصياً كذلك على الفناء ، لاستحال فناء الروح حين يهاجمها الموت ، إذ يدل البرهان السابق على أن الروح لن تـكون قط ميتة ، فلن تقبل الموت أكثر مما تقبل ثلاثةٌ أو العددُ الفرديّ الزوجيّ ، أو النار ، أو الحرارة التي في النار ، البرودة ، ومع ذلك فرب أحد يقول : « ولـكن على الرغم من أن الفردي لن يصير زوجياً حين يقترب الزوجيُّ منه ، فلماذا لا يجوز أن يفنى الفردي وأن يحل مكانه الزوجي ؟ » ونحن لا نستطيع أن نجيب من يتقدم بهذا الاعتراض بأن العنصر الفردي مستعص على الفناء لأن ذلك لم يعترف به بعد ، فلو قد اعترف بهذا لما أشكل علينا الزعم بأن العنصر الفردي والعدد ثلاثة يهمان بالرحيل حين يقترب الزوجي ، وهـذا البرهان بعينه كان يصح عن النار وعن الحرارة وعن أي شيء آخر

ـ جد صحيح

ـ ويجوز هذا القول نفسه عن الخالد : لو كان الخالد مستعصياً كذلك على الفناء ، إذن لـكانت الروح مستعصية على الفناء كالخالد سواء بسواء ، فان لم يكن ، وجب أن يقام برهان آخر على استحالة فنائها

فقال : ليس بنا من حاجة إلى برهان آخر ، إذ لو كان الخالد ـ وهو سرمدي ـ عرضة للفناء ، للزم ألا يستحيل الفناء على شيء

فأجاب سقراط : نعم ، فكل الناس مسلِّمون بأن الفناء مستحيل على الله وعلى صورة الحياة الروحية وعلى الخالد بصفة عامة

قال : نعم ، كل الناس بذلك مسلمون – هذا صحيح ، وأكثر من هذا ، فهم مجمعون – إن لم أكن مخطئاً – على أن الآلهة كالناس فى ذلك

– وإذن فما دمنا قد رأينا أن الخالد لا يناله التخريب ، أفلا يلزم أن تكون الروح مستعصية على الفناء كذلك – ما دامت خالدة ؟

– بكل تأكيد

– إذن فحين يهاجم الموت انساناً ، فقد يتعرض الجزء الفانى منه للموت ، أما الخالد فينأى عن طريق الموت حيث يُحْفظ مصوناً سليما ؟

– حقاً

إذن يا سيبيس فالروح خالدة بغير شك ، وهى مستعصية على الفناء ، وستحيا أرواحنا حقاً فى عالم آخر !

فقال سيبيس : إنى مقتنع يا سقراط ، وليس لدىّ بعد ذلك ما أعترض عليه . فان كان عند صديق سمياس ، أو عند أحد سواه اعتراض آخر ، فيجمل به ألاّ يلتزم الصمت وأن يعلنه . اللهم إن كان لديه شىء يريد أن يدلى به ، أو كان يود لو أدلى به ، فلست أرى أن سيجود عليه الدهر بأنسب من هذه اللحظة ، حتى يجوز له أن يرجئ اليه الحديث

فأجاب سمياس : ولكن ليس عندى ما أقوله بعد ذلك ، بل لست أرى مجالاً للشك ، إلا ما ينشأ حتماً عن ضخامة الموضوع وضعف الانسان ، فذلك مالم يسعنى إلا أن أشعر به

فأجاب سقراط : نعم يا سمياس فقد أحسنت قولاً : أضف إلى ذلك أن المبادئ الأولى يجب أن تبسط للبحث الدقيق حتى وإن كانت تبدو يقيناً ، فاذا ما استوثقنا منها وثوقاً مرضياً ، استطمنا بعدئذ ، فيما أظن ، فى شىء من الايمان المزعزع بالعقل البشرى ، أن نقتبع مجرى البرهان ، فان ألفيناه واضحاً لم يكن بنا بعد ذلك حاجة لسؤال

فقال : ذلك صحيح

(يتبع) زكى نجيب محمود

أبو العباس أحمد المقّرى

١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م

بقلم عبد الهادى الشرايبى

تتمـــة

هـذا ولا نثنى عنان القلم دون أن نشير إلى تلك القصة الشعرية الاستعراضية لحوادث الدهر وأيام الأول ، وهى طويلة نجتزىء منها ببعض فقرات يقول فى فاتحتها :

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو بصر ، وزرقاء اليمامه
ومسدد ، أو جائر أو حائر يشكو ظُلامه
لولا استقامة من هدا ه لما تبينت العلامه

***

... فالعيش فى الدنيا الدنيـــة غير مرجو الادامه
من أرضعته ثديها فى سرعة تبدى فطامه
من عز جانبه بهـا تنوى على الفور اهتضامه
وإذا نظرت فأين من منعتْـه أو منحتْ مرامه
... أين الذين قلوبهم كانت بها ذات استهامه
أين الذين تفيئوا ظل السيادة والزعامه
أين الملوك ذوو الريا سة والسياسة والصرامه
... أم أين عنترة الشجـــاع وذو الجدا كعب بن مامه
والزاعمون بجهلهم أن القبور صدى وهامه[١]
والمكثرون من الجنو ن إذا شكا الفكر اغتمامه
أين الغريض ومعبد أو أشعب وأبو دلامه
أين الألى هاموا بسعـــدى أو بُثينة أو أمامه
وبكوا لفرط جواهمُ والليل قد أرخى ظلامه
وتتبعوا آثار من عشقوا بنجد أو تهامه
وتعللوا ، والشوق يغـــلب ، بالأراكة والبشامه

(١) يقول ذو الاصبع العدوانى :
ياعمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقونى

... وسقاتهـــا المتلاعبـــون بلب من أعطوه جامه
من كل أهيف يزدرى بالغصن إن يهزز قوامه
ذى غرة لألاؤها يمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى أزراره والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب إذا رمى عن قوس حاجبه سهامه
ويروق حسنا ان رنا ويفوق[١] آراما برامه[٢]

ثم يشكو صروف الدهر وفجائعه بفخر الأدب « ذى الوزارتين لسان الدين بن الخطيب » :

راعت صروف الدهر دو لته ، وما راعت ذمامه
حتى ثوى إثر التوى فى حفرة نثرت عظامه[٣]
من زارها فى أرض « فا س » أذهبت شجوا منامه
إذ نبهته لكل شمـــل شتت الموت التئامه
هذا لسان الدين أســكته وأسكنه رجامه
ومحا عبـــارته فمن حياه لم يردد سلامه
فكأنه ما أمسك الـ قلم المطاع ولا حسامه
وكأنه لم يعلُ متـ ن مطهم بارى النعامه
وكأنه لم يرق غا رب الاعتزاز ولا سنامه

***

. . . مذ فارق الدنيا وقو م ض عن منازلها خيامه
أمسى بقـــبر مفرداً والترب قد جمعت عظامه
من بعـــد تثنية الوزا رة ، جاده صوب الغمامه
لم يبق إلا ذكره كالزهر مفـــتر الكمامه

— ٤ —

وله فى الشعر المنثور رسائل بليغـــة ، ومساجلات أدبية رائقة ؛ ويكفى أن نلقى نظرة على كتابه الحافل « نفح الطيب » الذى هو سجل لألوان الأدب الأندلسى ، وديوان لأخبارهم وطرائفهم ، والذى تدين له العروبة والتاريخ والأدب والفن بأكبر الفضـل فى جمع أشتاتها ، ونظم متناثرها ، فخلد بعمله ذاك

(١) آرام : جمع ريم وهو الظبى
(٢) وامه : موضع بالبادية تكثر فيه الظباء
(٣) إذ بلغ من كيد أعدائه أن اتهموا عليه السجن فخنقوه ثم وضعوه فى قبر وحرقوا جثته فصار طعاما للنار كما يقول عن هـذه متنبئا :
وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت

صوراً حية من الحضارة الأندلسية ، ومدنيـة العرب فى أوربا « من مطلع فجرها حتى مغرب شمسها » ! . . .

وإليك ما يقول فى وصف البحر حين نزوحه عن مسقط رأسه الى ديار الشرق والحجاز :

« . . . ثم جد بنا السير فى البر أياماً ، ونأينا عن الأوطان التى أطنبنا فى الحديث حبالها وهياما ، وكنا عن تفاعيل فضلها نياما ، الى أن ركبنا البحر ، وحللنا منه بين السحر والنحر ، وشاهدنا من أهواله ، وتنافى أحواله ، مالا يعبر عنه ، ولا يبلغ له كنه . فكم استقبلتنا أمواجه بوجوه بواسر ، وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر ، قد أزعجتها أكف الرياح من وكرها ، كما نبهت اللجج من سكرها ، فلم تبق شيئاً من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دوياً عظيما وزفيرا ، وتيقنا أنا لا نجد من ذلك إلا فضل الله مجيرا ، وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ، وأيسنا من الحياة لصوت تلك المواصف والمياه ، فلا حيا الله ذلك الهول المزعج ولا بياه ، والموج يصفق لسماع أصوات الرياح فيطرب بل ويضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب أو شرب ، فيبتعد أو يقترب ، وفرقه تلتطم وتصطفق ، وتختلف ولا تكاد تتفق ، فتخال الجو يأخذ بنواصيها ، وتجذبها أيديه من قواصيها ، حتى كاد سطح الأرض يكشف من خلالها ، وعنان السحب يخطف فى استقلالها ، وقد أشرفت النفوس على التلف من خوفها واعتلالها ، وأذنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها ، وساءت الظنون ، وتراءت فى صورها المنون .

. . . ونحن قعود ، كدود على عود ، ما بين فرادى وأزواج ، وقد نبت بنا من القلق أمكنتنا ، وخرست من الفرق ألسنتنا ، وتوهمنا أنه ليس فى الوجود ، أغوار ولا نجود ، إلا السماء والماء ، وذلك السفين ، ومن فى قبر جوفه دفين ، مع ترقب هجوم العدو ، فى الرواح والغدو ، لاجتيازه على عدة من بلاد العدو . . لا سيما مالطة الملعونة ، التى يتحقق من خلص من معرتها أنه أمد بتأييد إلـهى ومعونة . فقد اعترضت فى لهوات البحر الشامى شجا ، وقل من ركبه فأفلت من كيدها ونجا ، ... وتشتت أفكارنا فرقا ، وذبنا أسى وندما وفرقا ، إذ البحر وحده لا كمى يقارعه ، ولا قوى يصارعه ، ولا شكل يضارعه ؛ لا يؤمن على كل حال ، ولا يفرق بين عاطل وحال ، ولا بين أعزل وشاكى ، ومتباك وباكى ، فكيف وقد انضم اليه خوف العدو الغادر الخائن ، الى أن قضى الله بالنجاة وكل ما أراد فهو الكائن . » الى أن يقول :

« فترى الأنفاس تمثر فى زفرة الأشواق ، والأجسام قد زُرت علبها من التعب الأطواق ، وتساوى فى السير نهار مشرق ، وليل مقمر أوداج . . ثم وصلنا بعد خوض بحار ، يدهش فيها الفكر ويحار ، وجوب فياف مجاهل ، يضل فيها القطا عن المناهل ، الى « مصر » المحروسة فشفينا برؤيتها من الأوجاع ، وشاهدنا كثيراً من محاسنها التى تعجز عن وصفها القوافى والأسجاع ، وتمثلنا فى بدائعها التى لا تستوفيها ، بقول ابن ناهض فيها :

شاطئ مصر جنة ... ما مثلها فى بـلد
لا سيما مذ زخرفت ... بنيلهـا المطرد
وللرياح فوقـه ... سوابغ من زرد
مسرودة ما مسها ... داودهـا بمبرد
سـائلة ، وهو بها ... يرعد عارى الجسـد
والفلك كالأفلاك بيـ ... ـن حادر ومصعد

— ٥ —

وبعد فلعل هذه الكلمة تكون حافزاً لأدباء العرب إلى دراسة هـذا الأديب الكبير والاهتمام بآثاره القيمة ، وتوفيتها حقها من البحث والاستنتاج ، ومن هاتيك الخدمة إعادة طبع كتابيه الكبيرين « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » فى شكل يلائم قيمتهما الأدبية والتاريخية مع مراجعتهما على الأصول وتتميم النقص الذى بهما

(فاس) عبد الهادى الشرايبى

أجِـــدُّ وأمزَح

اندفاعات

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

أنا ما برحتُ ولا أرانى أبرح بين الضلالة والهدى أترجّح
طوراً بإبليس الموسوس أقتدى طرِباً وطوراً للإله أسبّح
إنى أرى أن السلامة فى التقى لو كان شيطانى بذلك يسمح
ابليسُ يُغوينى فإن لم يهدنى ربى فإن به مصابى يفدح
وإذا استقرت فى الحياة عقيدة يوماً فبالبرهان لا تتزحزح
فى الشكّ وخزٌ واليقين قناعةٌ فانظر لأىّ المسلكين تُرجّح
لم أطمئن إلى الحياة فإنها عبءٌ وتحت العبء ناسٌ ترزح
تبكى اليتامى ثم إنى لا أرى لدموعهم مذروفةً مَن يمسح
سأل القطيع المالكيه راعياً فأجيب هاك الذئب فهو الأصلح
إن كان فى ذكر الحقيقة جهرةً قبحٌ فكتمان الحقيقة أقبح
مَن لى بصبح أهتدى فى ضوئه فالليل داج والكواكب جُنّح

***

ما كل أقوالى بناتُ عقيدتى إنى لفى شعرى أجد وأمزح
وإذا ذممتُ فلا أذمّ سوى الذى يأتى من الأفعال ما أستقبح
إنا بعهدٍ للعروبة حاجةٌ فيه لإصلاح وأين المُصلِح
لم يكتب الله البقاء بأرضه إلاّ لمن هو للوغى يتسلّح
أما الطبيعة فهى خرساء إذا ساءلتها عن أمرها لا تُفصِح

***

مازال هذا الكون سراً غامضاً ولعلّ ما هو غامضٌ يتوضّح
إن الحياة روايةٌ قد أحسنوا تمثيلها والأرضُ نعم المسرح
دهرى تربّانى ودهرى هذّبنى أأذمّ دهرى أم لدهرى أمدح
ذهب الشبابُ مخلّفاً اغلاطه ووددت لو أن المشيب يُصحّح
عمرٌ بمختلف الحوادث حافلٌ ولّى فما للنفس فيه مَطمح
قد ذقتُ حلوَ العيش فيه ومرّه وخلت يدى حيناً وكانت تطفح
كم بائس يطوى سجلّ حياته يأساً كما يتطوّح المتطوّح
وأرى الكآبة للسرور ذريعةً من لا يلاقى غمّةً لا يفرح
قد كنتُ فى عهدٍ مضت أيامُه أمسى على ضوء كأنى أُصْبِح
لم أمتدح عهد الشباب وطيبه حتى علتنى كبرةٌ لا تُمدَح
بقيت بنفسى فى الحياة لبانةٌ أدنو إليها وهى عنى تنزح

***

فى الصبح غرّدْ يا هزار فإنما قبل الصباح الوردُ لا يتفتّح
واشممه والثم ثغره قبل الضحى فالورد إن جاء الضحى يتصوّح
صاح الغراب على كراهة صوته فى الروض واختار الصُّموتَ الصيدح
ودّوا لو انّى قد جنحتُ عن الهوى فى كبرتى لكننى لا أجنح
إن كنتُ شيخاً قد كبرتُ عن الصبى فالقلب لم يكبر وروحى تمرح
شُقّوا فؤادى وانزعوا منه الهوى ولعلّها عمليــة لا تنجح
إنى بأوطانى التى أحببتُها بالشعر للآتى البعيد أُلوّح
يا حبذا لو أن روحى بعدما تلقى المنيّة فى المجرّة تسبح

(بغداد) **جميل صدقى الزهاوى**

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

١١ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

فردريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

— ٢ —

وهنالك علاقته مع المرأة تبدى ناحية من نواحى نفسه ، فقد زعم أناس أن نيتشه كان يذهب مع المرأة مذهب معلمه « شوبنهاور » كاره المرأة ، ويستشهدون على ذلك بقوله : « أيها الذاهب إلى المرأة ! لا تنس عصاك وسوطك » ولكن هذا الحكم يسهل نقضه على المدقق فى تعاليم نيتشه ، فالمرأة التى طمنها نيتشه فى الصميم هى المرأة المترجلة التى تريد أن تزاحم الرجل فى علمه وجهاده واقتصاده ، أما غير هذه المرأة فهو مقدر لها محترم لفضلها ، مقدس لمعنى المرأة فيها ؛ ولقد كان له منهن صديقات وصاحبات فضليات ، وهو — وإن لم يتذوق من امرأة ذلك الهوى العاصف والحب اللاعج فقد تذوق عطفها الرقيق وعاطفتها الخالصة . وقد ذكرت شقيقته فى مذكراتها « ان أخاها كان يجهل الحب العادى . . . وإنما كان همه الشاغل له التفتيش عن الحقيقة » . على أن هذا الفيلسوف السئم « المنطوى على نفسه » الذى لم يستسلم للأهواء المصطخبة والميول الملتهبة ، قد تذوق فى أيام نكبته من عطف المرأة ما لم ينعم بمثله إلا قليل . . . فهو صاحب مثل أعلى فى الحب كما كان فى الصداقة

وهنالك نشأته المدرسية فقد دلت على طبعه « الارستقراطى » الذى ينفر من كل شىء مبتذل شائع ، ولا يميل إلا إلى كل جميل لامع ، وطبعه هذا هو الذى حمله على اعتزال رفاقه الذين يدرسون معه ، وذوقه هذا الجامح إلى محبة الأشكال الجميلة هفا به إلى عشق الجمال القديم وحب العبقرية الفرنسية الغابرة والحاضرة . ونفوره هذا من السوقة والعامة جعله ينفر من المسيحية ، ويصفها ويصف أصحابها ورسلها وصفاً قاسياً ، ويكره كل المبادىء التى تبشر بها الديموقراطية والانسانية الاشتراكية . وكل تعاليمه الأخلاقية إنما تؤول إلى هذه الغاية : « هل هذه العاطفة شريفة أو غير شريفة ؟ » ولعل نيتشه كان يمثل نفسه الجبارة فى هذه الكلمة التى رددها « زرادشت » حين يقول : (تسألوننى لماذا ؟ أنا لستُ ممن يُسألون حين يعملون لماذا ؟) وهذه صفة نفس لا تعتمد إلا على إرادتها ، تحتمل الألم وتصدمه ثم تهزمه ، وتقابل القدر وتعلن سيادتها عليه

أطوار حياته

كان هوى نيتشه الراسخ فى صدره هو المثور على الحقيقة ، فلننظر أية طريق ركب اليها ، وما هى الدوافع التى هيمنت عليه ؟

كان نيتشه يمت بنسب قوى الى أسرة مغرقة فى دينها ، متشددة متعصبة ، مع ميل الى الدراسة العلمية ، قرن والده العلم الى الدين ؛ وما كان لنيتشه أن يبدل هذا السبيل الذى اختاره له والده واختارته طبيعته ، وقد عرفه أصدقاء حداثته مغالياً فى دينه وفى تقواه ، ولاعجب إذا أطلقوا عليه — وهو فى السادسة من عمره — اسم العابد الصغير ؛ حتى إذا ما أتم دراسته الأولى خرج الى الحياة وهو لايزال يفكر فى ربه ، ولا يكفر بنعمته ، ولايجحد وجوده . وماهى إلا أعوام كرت حتى أخذ يرتاب فى الدين الملاصق للعلم ، لأن ما فى الدين من إيمان لا يلائم فى رأيه ما فى العلم من حرية وانطلاق ! وهو عند ما يعمل على درس الطبيعة والتاريخ متوخياً الحقيقة من وراء دراساته يجد فى عمله هذا ما يسمح له بأن يكون طليقاً حراً لايسترقه شىء . ومنذ ذلك الحين بدأ يطمع فى الحقيقة العلمية التى يقتفى أثرها فكره الضائع دون أن يفقد الله الساكن فى أحناء صدره . ولكن ناشد الحقيقة العلمية لايتسنى له أن يوفق زمناً طويلاً بين حقيقته المنشودة وبين إيمانه الموروث . فهما حقيقتان متضادتان ، إذا تلاءمتا فى أول الطريق فنزاعهما حقيق فى وسطه ، وإذا توافقتا فى وسطه فالخلاف ناشب فى منتهاه . وها هو ذا نيتشه يفصل الآن بين هاتين الحقيقتين ، ويكتب عام ١٨٦٢ تجربة فلسفية على القدر والتاريخ ، يحدثنا أنه قاس بعقله « أوقيانوس الأفكار الواسع ، وهم بأن يجازف بنفسه فى بحر الشك ، ولكنه وجد أن مجازفة مثل روحه الضعيفة تجارتها ضرب من الجنون ، وهى لاتملك عدة ، ولا تحمل سلاحاً » ومنذ تلك اللحظة ألفى أن الديانة المسيحية مبنية على افتراضات وهمية . أما وجود الله والخلود والوحى فستبقى جميعها مسائل لاحل لها . (إننى جربت أن أكفر بكل هذا ، وما أيسر الهدم ! ولكن الهدم يستلزم البناء ... على أن الهدم والتخريب هما أصعب مما تتمثله عقولنا ، فنحن فى الحقيقة لانعيش لأنفسنا ولا نملك أنفسنا وقفاً علينا . فهناك أوهام الطفولة وأساطيرها تحتل مكاناً منا ، وهناك تعاليم الآباء والمعلمين تؤثر فينا ، وكلها

عوامل مترابطة متلاحمة لايسهل على العقل أن يخترق سياجها ، ولا يمكن للمنطق أن يقوم أعوجاجها

إن قوة العادة المتوارثة ، وتسامينا الى الكمال ، وانفصالنا عن العالم الحالى ، وحل كل عقد المجتمع ، والشك فى حقائق الوجود ، كلها نوازع تتنازعنا وتملك علينا إرادتنا ، والنكبات المفجعة ، والتجارب المؤلمة ، هى التى تسوق قلوبنا الى الايمان الذى ولد مع طفولتنا ، وصاحب حداثتنا)

وبعد ثلاثة أعوام ألفينا « نيتشه » يخطو خطوته الأخيرة ، ويعلن أن الانسان بين حالين لا ثالث لهما : فهو إما أن ينتخب الايمان وما فى الايمان من هدوء ووقار واستقرار ، وإما أن يمشى على طريق محفوفة بالأخطار : هى طريق الباحثين عن الحقيقة ، الذين لايتخذون الهدوء والسكينة مأرباً لهم ، وإنما يجدون مأربهم فى نشدان الحقيقة . يمشى الباحث منهم وحده مضطرب النفس قلق الضمير ، ممزق القلب ، نحو ضالته المقصودة ، نحو ما يتجلى له من حق وجمال وخير ، وهو إذا غادر طريق الباحثين ورضى لنفسه ذلك الهدوء فقد قتل البطولة فى نفسه ، وحكم على رجولته بالموت

انفصل « نيتشه » عن المسيحية التى كان يؤمن بها قبل عهد الانفصال إيمانه بشيء رمزى قائم على قواعد رمزية ، شأن الحقائق السامية تكون رموزاً لحقائق أسمى منها وأعلى . وظل يدرك خطر العمل الذى أقدم عليه ، ويتكلم فى كل فصوله « عن موت الالـه » كأن موته — عنده — حادث عظيم فى تاريخ البشرية أو عمل نفذ اليوم أوله والأجيال الآتيـة ستتممه . ولكن « نيتشه » أعدم هذا الالـه ليبعث إلـه الحقيقة . « هذا الألـه (الأدبى) ، قد مات ليعيش الألـه العلمى » وهكذا حمله حنينه الهاجع فى أحناء نفسه للدين إلى الايمان بالـه الحقيقة . وعند ما وجد نفسه يتنازعها إلـهان سلطانهما نافذ : الالـه الذى ورثه ، والالـه الذى لقيه ، رأى أن يضحى بالأول ويبقى على الثانى . وهذا الالـه هو الذى يسيطر وحده على كل تعاليم نيتشه ومبادئه ، ولم يعش مع إلـهه هـذا كما يعيش أولئك مع آلهتهم مستسلمين قانعين بما نزل على قلوبهم من برد اليقين ، فهو يهب عاملاً على تحطيم كل عمارة مشيدة على الايمان بذلك الالـه الأول ، وهو — الآن — لم يعد يؤمن بنظام الطبيعة ولا بجمالها ولا يميل إلى محاسنها ، ولم يعد يرى فى صفحات التاريخ ذلك القضاء الالـهى والنظام السماوى اللذين يقودان الانسانية إلى مرابعها التى خلقت لها ، ولم يعد يستسلم لذلك القدر الذى يذهب بحياتنا مايشاء ، ولا لتلك الارادة الالـهية التى تود أن تهدينا إلى سبيل النجاة والسلام

بحث « نيتشه » جميع الأديان والشرائع منذ العصور الأولى والمذاهب التى نزلت لتخرج النـاس من الظلمات إلى النور . وبعـد أن شكك فى هـذه المذاهب وارتاب فى حقائقها وأغرق فى الانكار عاد إلى هذه الفكرة التى قالها جازماً ، وزعم أنه بهذه الفكرة حلّ مسألة الوجود : « ألا ان الآلهة جميعهم قد ماتوا ! والآن نريد أن يحيا الانسان الكامل : السوبرمان » ، وهكذا أضاع نيتشه إلـهه ووجد نفسه

بحث الناقدون كثيراً فى فكرة نيتشه التى كانت تتطور وتتبدل تبعاً لما يحيط بحياته . وهو قبل بلوغه هذا المرفأ خاض بحاراً كثيرة وجاز شواطئ كثيرة . وقد أدرك بذاته تطور ذاته فشبه نفسه بالأفعى التى تنسلخ من جلدها أو النسر الذى ينسل ريشه . والحياة — عنده — ليست بواجب يُلقى ولا بعمل يُفرض ولا بوهم يُحسب ، وإنما هى مادة شأنها شأن المواد التى تقع بين يدى الباحث . وكان ينظر نفسه كالمتنقل بدون انتهاء . همه النضال تهذبه انكساراته كما تهذبه انتصاراته ، أو كالقافز بين الصخور يكاد يذهب بنفسه ضحية على رؤوس الصخور الشاهقة . وهو — بلا كلل ولا فتور — يصعد من عال إلى أعلى ، ومن قمة إلى قمة ، مبدلاً كل لحظة أفقه ، عازماً على ألا يقف أبداً ولا ينثنى أبداً . رداؤه الشجاعة والصرامة ، لا يروعه البرد ولا تخيفه الهاوية . ولا يجزع من العزلة التى يتنفس فيها ريح الثلج المنهمر . . . هو دائماً فى صعود وارتقاء . وهكذا يعتقد نيتشه الذى فهم الحياة أنها تفوق بعضها على بعض ؛ يعتقد أن التطور لا غنى عنه ، ولا بد منه لأنه مادة ضرورية فى تحول الحياة . يعتقد نيتشه ذلك ويدأب على أن يوفق بين حياته وإرادته مع هذا المثل الذى اعتقد به ، وقد كان توفيقاً كاملاً وكان تلاؤماً كاملاً ، وصارت مسألته فى الحياة هـذه المسألة : « ما عسى يكون عندى معنى الحياة إذا لم يكن إلـه ؟ » ويجيب على هذه المسألة بهذه الكلمة : « إن اللاشخصية ليس لها قيمة على الأرض ولا فى السماء . إن الحب الأكبر هو جوهر ضرورى وجوده فى كل مسائل الوجود الكبرى . وهـذا الحب وحده جدير بالأرواح القوية النشيطة ذات اليقين الراسخ . هنالك فرق كبير بين المفكر الذى يقابل مسائل الوجود بشخصيته ، يرى فيها قدره وفاقته كما يرى فيها سعادته ، وبين المفكر الذى يتوجه إليها مجرداً عن شخصيته ،

القصص

من أساطير الاغريق

مجازفات هرقل

للأستاذ دريني خشبة

١ — الى غابة نيميا

كانت الغابة تثير الرعب فى قلوب الجن ، وكانت الظلمات تضرب فى أنحائها فتجعلها تيهاً يعج بالأفاعى ، ويضج بالتنانين وكان ملكها الضرغامة يربض فى المغارة المفزعة ، المنشقة كالقبر فى أول الطريق المؤدى اليها ؛ وكان يخرج فى أول الليل فيصول فى القرى المجاورة ويجول ؛ وكان الأهلون التعساء يلقون من بطشه وشدة أذاه الشيء الكثير ؛ فلم يكن يبقى على دابة فى الأرض ، ولا إنسان فى الطريق . ينقض كالقضاء على فريسته فيجندلها ، ثم يحتملها إلى كهفه فيلتهم منها ، وينبذ الباقى لخدمه وعبيده الكثيرين من سائر السباع

ولم يكن كهذه الأسود الضئيلة التى يتحدث عنها السودان هذه الأيام ، بل كان أسداً فى جرم الفيل وقوته ، ورشاقة النمر وخفته ، وخباثة الثعلب وحيلته . . . يثور فينقدح الشرر من مقلتيه ، وتمور الأرض وتسجد الجبال بين يديه . وكانت له لبدة نسجتها له الآلهة من أشواك الجحيم ، وبطنتها بحمّى المنية !

وكان زئيره يقصف كالرعد فيزلزل شعاف الجبل ؛ ويهز جوانب السماء ، ويهيج الجنون والفزع فى رؤوس الوحوش ، فترى إلى الغابة كأنها ترقص على فوهة بركان ! !

ولقى هرقل أصدقاءه فنصحوا له ألا يلاقى هذا الأسد ، وأن يضنَّ بشبابه . . . على أنيابه ؛ وعاء الحياة المتدفق فى بردتيه ، على جمر الغضى المتأجج فى حدقتيه . . .

ولكنه أبى !! وانطلق كالعاصفة إلى حيث يربض أبو أسامة . . . وإنه لعلى خطوات من الكهف ، وإنه لينظر إلى السيف الذى كان إلى هذه اللحظة فى يمينه فلا يجده ! !

« أين ؟ أين سيفى ؟ . . . آه ! ها ها . . . لقد سرقته حيرا ! ! أرادت الخبيثة أن تجردنى من السلاح الذى أنازل به خصمى ! خاب فألك ياحيرا ! ! سأنازله بغير ما سلاح . . . سأحطمه . . . سأشد لسانه حتى أنتزعه من غلاصمه ... إلىّ ياسبع نيميا ... إلى يا ملك الغابة وسيد وحوشها ... الساعة ساعتك ... لا مفر لك يا أبا لبدة ! ... ... »

وطفق هرقل يرعد كالمجنون ؛ وكان سبع نيميا نائماً فاستيقظ على هذه الصيحات الداويات ، ووثب وثبة هائلة كان بها أمام هرقل ، وجهاً لوجه ...

وبدأت الزوبعة ...

والتقى الجبل بالجبل ، وتصارع الجباران ساعة ، لا هذا ينال من ذاك ، ولا ذاك يصل إلى وطر من هذا ... وأقبلت وحوش الغابة تشهد المعركة وتتعجب ... وغضب أبو أسامة ، وهاله ألا يقوى على رجل بمفرده يكاد يصرعه ...

وتعب هرقل ... ونال منه الجهد ، ورأى أن لا بد من آلة ،

لا يعرف أن يلمسها إلا بفكره البارد الغريب . إن هذا المفكر لا يستطيع أن يلمس شيئاً . وهب أن مسائل الوجود قد أمكن لمسها فلن يُقدر للضفادع أن تلمسها ولا للدجاج المسترخية أن تحسها . .

ونيتشه وجد فى المسألة الكبرى شقاءه وسعادته . وقد ناضلها بدون ضعف ولا هوادة ، ونازلها جسداً لجسد دون أن ينفذ إلى قلبه الوهن . حتى إذا أصابه الجنون وقضى على شعوره أعلن نشيد الانتصار . أو ليس هذا بعد ذلك كله قدراً جميلاً بين الأقدار ؟

(يتبع) خليل هنداوى

فدار دورةً اقترب بها من شجرة باسقة ، فانتزعها ، وألقى بجذعها فى شدق الأسد ، ثم أسرع فقبض على لسانه العظيم فانتزعه ، وانقذف الدم يتدفق من هنا وهناك ... وتسيل به أودية الأرض ! !

وكأن نشوة الظفر قد ضاعفت قوة هرقل ، فقبض على فكي الأسد ، وشد على الرأس الكبير فتحطمت عظام المخ ، وخر ملك الغابة يتقلب فى لجة من دمه الغزير ! .

وهمهمت الوحوش مشدوهة !

لقد قتل ملكها ... فلا خوف عليها بعد اليوم ! ستكون حرةً طليقة ، تجيء وتروح ، وتقتات لنفسها غير منتظرة ما كان ينبذه لها أبو أسامة ! !

ونظر هرقل ، فرأى سيفه وراء ظهره ! !

لقد جاءت به جيرا بعد إذ شهدت من جبروت البطل ما بهرها

وتناول السيف باسما ، ثم تقدم إلى الأسد فسلخ جلده الكبير ، وأبقى على اللبدة الهائلة ، وعاد أدراجه إلى يوريذوس ، ملتفعاً دثاره الغريب الذى كان إلى لحظة قريبة يضم جثمان ملك الغابة وسيد وحوشها

٢ — مع الأفعوان الهائل « هيدرا »

ولقى صديقه يولوس ، وتحدث عما كان من أمره مع سبع نيميا ، فأخذه العجب ، ونذر ليصحبن هرقل فى جميع مجازفاته . ثم فصلا ، وما كادا يفعلان حتى قابلهما رسول الملك برسالة تأمر هرقل بالتوجه إلى مستنقعات ليرنا حيث الأفعوان الأرقم هيدرا : « ... فاذا لقيته ثمة فعليك به ، ولا تعودن إلا برأسه . فقد حدثنا من عرفه أنه لا يبقى على دابة ولا بهيمة ، ولا يعفى من القتل أحداً . . . ونحن أرفق برعايانا من أن ندعهم فرائس لهذا الأفعوان ... »

وانطلقا ، حتى إذا كانا عند المستنقعات المترامية ، شهد هرقل حيواناً ضخم الجثة فظيع المنظر ، يتقلب فوق صفحة الماء المغطاة بزهرات اللوتس وأوراقه العريضة النامية . وأيقن أنه هيدرا ، فتناول قوسه الكبيرة ، وأرسل إلى الوحش سهماً يهيجه به ، ليخرج من الماء ، وليأخذ معه فى نزال وقتال ...

وتم له ما أراد . وخرج هيدرا الفظيع يقلب رؤوسه السبعة . ويقلب فى كل فم لساناً طوله ذراعان ، وبرزت أنيابه تنفث سمها الزعاف ، وأرسلت العيون الصغيرة البراقة شررها ، وشرع الفحيح المرعب يصم أذنى هرقل وأذنى صاحبه

وبدأت المعركة ...

وامتشق هرقل سيفه الكبير المرهف ، وبضربة قاضية أطاح رأساً من الرؤوس السبعة ...

ولكن . . . يا للعجب ! ! لقد نبتت فى لحظات قليلة ، فى مكان الرأس المقطوع ، رؤوس سبعةٌ أخرى ، أخذت تنمو بسرعة فائقة ، حتى أوشكت أن تساوى الرؤوس الكبيرة فى حجمها . . .

وريع هرقل ، وهتف بصاحبه يولوس قائلاً : « أوقد النار يا صاح ، وأجج هذا الجذع فاكو به كل رأس يطيح . . . إننى أخشى أن ينبت لهيدرا ألف رأس ! »

ونفخ فى النار وأجج الجذع ؛ وأخذ كلما طاح رأس كوى مكانه بالنار

وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... لقد أرسلت حيرا سرطاناً بحرياً يعض قدمى هرقل وهو يحارب هيدرا ، تود بذلك لو تشغله فيستطيع الأفعوان الظفر بخصمها العنيد ... ولكن هرقل تنبه للسرطان فوطئه ، وسحق عظامه سحقاً



هرقل يقتل هيدرا (تصوير جيد)

وانتصر هرقل . . .

وطفق يغمس سهامه فى دم الأفعوان ليسممها ، حتى إذا أصابت رَمِيَّةً لم تُفلتها من الموت . وعاد إلى يوريذوس ثملاً بخمرة النصر

٣ — ظبى سيرينيا

وأسقط فى يد يوريذوس حين رأى هرقل يختال فى بردة السبع ويتيه ، وفى قبضته القوية رؤوس هيدرا هامدة خامدة

وكان فى مقاطعة سيرينيا ظبى له قرنان من ذهب ، وأبطلان

من نحاس ، وساقان من معدن ليس له فيما نعرف من المعادن من ضريب . وكان الملوك إذا أرادوا إعجاز أحد من الناس ليقتلوه ، كلفوه باقتفاء ظبي سيرينيا وامساكه ؛ فان لم يفعل ، ولن يستطيع أحد أن يفعل ، لشدة عَدْو هذا الظبي ، كان جزاءه القتل . وقد أراد ملك أرجوس أن يُعجز هرقل هذه المرة ، فأمره باقتفاء ظبي سيرينيا : « ... فان لم تعد الينا به ، فأنت أعلم عما ينتظرك من الموت الزؤام . . . . »

ولم يستطع هرقل أن يمسك الظبي ، لأنه كان يعدو كزوبعة ، فما تكاد حوافره تلمس الأرض إلا كما تلمس السماء كف سكران ، فلجأ إلى الحيلة ؛ واحتفر في طريق الحيوان حفرة عميقة غطاها بوشائج رقيقة من الثلج ، وطارد الظبي حتى ألجأه إلى الحفرة ، ووقع فيها ، فنزل اليه واحتمله ، ومضى به إلى الملك الغاشم

٤ — خنزير أرمنيا

ثم أمره بقتل خنزير برى مخرِّب ، كان يأوى إلى غابات أرمنيا ، ويقطع الطريق على القبائل الرُّحَّل ، ويقتل كل من تحدثه نفسه بمحاربته أو الوقوف معه في ميدان . وكان ذلك الخنزير لا يبالى شيئاً في الأرض أو في السماء ، وكانت بينه وبين قبائل السنتور مودة في الشر ، وتحالف على إيذاء الناس . فلما اشتبك هرقل وإياه في نزال تشيب من هوله الولدان ، وشعر الخنزير أنه مقضىٌّ عليه لامحالة ، خار خواراً عالياً يستنجد حلفاءه السنتور ، ولكنهم لم يصلوا إلى مكان المعركة إلا بعد أن أجهز هرقل على خنزيرهم العزيز ، فنشب قتال مروع بينهما ، وأخذ هرقل البطل يسدد سهامه التي كان قد غمسها في دم هيدرا ، إلى صدور أعدائه حتى كادوا يبيدون جميعاً . وأقبل شيرون — وهو كما علمنا مؤدب هرقل وأستاذه — ليحسم النزاع بين قبيله وبين تلميذه ، ولكن وا أسفاه ! لقد أصابه هرقل بسهم مسموم فأرداه وهو لا يعرفه ! فلما أدرك أنه أستاذه ، أقبل عليه ، وعنى به ، وجمع من الأعشاب الطبية ما حسب أنه ينقذ أستاذه من براثن الموت ، ولكن بلا جدوى ! ومات شيرون ، وأهوى عليه هرقل يقبله ، وفي عينيه دموع المحبة والاعزاز

وتعاون هرقل ومن بقى من السنتور فدفنوا القتلى ، ثم أقاموا قبراً مشيداً دفنوا في ثراه شيرون ، ومضى كلٌّ لطيَّته . .

٥ — زرائب أوجياس ملك إليس

كان الملك أوجياس ، ملك إليس ، يقتنى عددا عظيما من الماشية والخيل والغنم ، تزدحم في زرائب متجاورة مع آلاف من الخنازير مؤلفة . وكانت النظافة في هذه الزرائب مهملة اهمالاً تاماً ، حتى لكانت الروائح الخبيثة تنتشر منها فتصدم أنف عابر السبيل على فرسخ أو فرسخين ، وأنتن الروث فأحدث طاعوناً مروعاً أوشك أن يأتى على جميع الأهلين ، وقرر الأطباء أن لاسبيل إلى مقاومته إلا إذا عنى بتنظيف زرائب الملك . . .

وعلم يوريذوس بما شغل بال صديقه ملك إليس ، فابتسم ابتسامة صفراء ، وقال لهرقل وهو يحدثه حديث السنتور : « إذن فعليك أن تتوجه إلى صديقى أوجياس ، ملك إليس ، فتنظف زرائبه مما بها من خبث ، وتكون بذلك قد أديت خمساً من المسائل الاثنتى عشرة ، التى كتبتها عليك الآلهة »

وامتعض هرقل في أعماقه ، وعبس عبوسة كادت تنفجر بالسخط على هذا الملك الغبى ؛ ولكنه ذكر نصيحة اربتيه ، فصدع بالأمر ، وذهب من فوره إلى إليس ، ليرى كيف ينظف زرائب الملك . . .

وثمة ، رأى مجرى عظيما من الماء ، يتدفق من الجبل الشاهق إلى يمين الزرائب ، وينحدر انحداراً شديداً حتى ينتهى إلى البحر ؛ فبدا له أن يغير مجرى الماء ؛ بحيث ينصب في الزرائب نفسها ، فيكتسح الروث ، وينجو الناس من هذا الرهق الشديد

وأنقذ هرقل مدينة الملك وثروته وحياة الأهلين !

وحاول ملك إليس أن يستبقيه ليجزيه ، ولكن هرقل أبى شاكراً ، وقصد إلى يوريذوس يتلقى أوامره

٦ — عجل مينوس

وكان نبتيون إله البحار قد أهدى عجلا جسداً لصديقه مينوس ملك كريد ، كى يقدمه قرباناً للآلهة في العيد الأكبر الذى يحتفل فيه بميلاد نبتيون ؛ ولكن العجل راق مينوس الملك فانتقى من عجوله أحسنها ، وضحى به مكان هذا العجل الآلهى السمين ، واستبقى لنفسه هدية الآله

وغضب نبتيون ، وأقسم ليكونن هذا العجل نقمة على

من الأدب الإيطالي

الليالي العشر

IL DECAMERON

ترجمة الأديب احمد الطاهر

٤

قصة زوجة صبور

جريزلدا

« النساء لا يقمن على العهد ، ولا يثبتن على الولاء » ذلك ما يقوله الرجال وما يعتقدون . ولكن هذه القصة التي سأذكر تنقض هذا الرأي وتدل على ولاء المرأة مع غلظة الرجل ، وثباتها مع جفوته ، وما أحسبكم إلا تشتهون سماع هذه القصة :

جالتيرى كان أميراً على دوقية سالوزو ، وكان من زعماء الرأي الظالم للمرأة ، لا يؤمن بوفائها ولا يثق باخلاصها . وحال هذا الرأي بينه وبين الزواج ، فصد عنه ، وانصرف إلى صيد الوحش واقتناص الطير ، يجد في ذلك ملهاة ولذة وسلوة . ولكن رعية هذا الأمير كانت مشفقة على البلاد أن يموت أميرها وليس وراءه من يجلس على العرش ، وذهب مسعاهم في حمله على الزواج أدراج الرياح ، واتخذوا له كل وسيلة فلم يزد إلا صداً ونفوراً

قال الملأ من قومه : « انا لنراك في وحدة وسأم شديد ، وهذه أجمل فتياتنا نقدمها اليك راضين ، وانا لأمرك لمنتظرون »

قال : « لوكانت بي إلى الزواج رغبة لاخترت شريكتي في الحياة بنفسي ، لا أكلفكم في ذلك عناء ولا نصبا ، وهذه الفتاة التي تقدمون إلى مهما يكن من شأنها في اصالة الحسب ، وعزة النسب — أرفضها مع احترامي لقدرها ، واجلالي لشرفها ؛ واني لأحذركم عاقبة ما يقع بي من حسرة ، وما أجد من غضاضة إذا حملتموني كرهاً على أن أتخذ زوجة لي لا أرضاها ولا أبغي السبيل إليها » . وانصرف القوم خائبين نادمين

خرج هذا الأمير يوماً يدور حول قصره ، فأبصر احدى راعيات الغنم : فتاة بهية الطلعة ، ساحرة الجمال ، وكانت تحمل في جرتها ماء إلى منزل أبيها ، فسألها : « ما اسمك أيتها الفتاة ؟ » قالت : « جريزلدا » ، قال : « إنني يا فتاتي أبحث عن زوجة تشاطرني النعيم ، فهل إذا اتخذتك زوجة لي تعملين على هناءتي ولا تعصين لي أمراً بالغاً ما يبلغ من الشدة دون أن يكون في صدرك حرج مما تؤمرين ؟ » . قالت الفتاة : « نعم يامولاي »

وأرسل الأمير إلى المدينة رسولاً فأحضر للفتاة من الثياب أغلاها ومن الحلل أبهاها ؛ وعقد على ناصيتها تاجاً من الزهر ، وأركبها جواداً وسار بها إلى قصره ، وأقام للزفاف ليلة كانت غرة في جبين الدهر ، ودرة في تاج الليالي

وسكن الأمير إلى زوجه الصالحة فوجد في طبعها الهدوء والسكينة ، وفي شمائلها العذوبة والطمأنينة ، وألفاها رفيعة الحاشية كريمة الأخلاق حتى لقد رأى نفسه في الدنيا أكمل الناس سعادة وأعمهم توفيقاً . ولم يكن الشعب أقل سروراً بهذا الزواج . فقد تجلى حبهم وولاؤهم للأميرة وا كبارهم لأخلاقها وصفاتها ودانوا لها بالمحبة وعقدوا لها القلوب على الولاء

ومضت الأشهر ثم وضعت الأميرة . ولكن وضعتها أنثى !

وعادت إلى الأمير عقيدته العتيقة ، ولعبت برأسه الهواجس وركبه الشيطان فصد عن سواء السبيل وقال في نفسه : « ما كان لهذه الفتاة أن تبغي عن سواء السبيل حولاً وهي في نعمة سابغة

مينوس وقومه ، فسخّر عليه طائفاً من الجنون ، فطفق العجل يُخرّب ويُدمّر ، ويُقتّل الناس تقتيلا . . .

وعلم يوريذوس بما كان من مصيبة صديقه ملك كريد في عجله ، فلما قدم هرقل أرسله ليقتل العجل ، أو على الأقل ليقيده فيرتفع عن الناس أذاه . . .

وأبحر هرقل ، ولقيه مينوس فرحاً متهللاً ، وذهب من فوره لينازل العجل ، فكانت معممة وكانت حرب عوان !

لقد كان هرقل يحمل العجل فيرفعه ، فيخبط به الأرض فتندك ، ومع ذلك ما استطاع أن يقتله ! وأخيراً اكتفى بأن صفّده بسلاسل وأغلال ، وعاد أدراجه إلى أرجوس ، وودعته كريد كلها

(لها بقية) دريني خشبة

وهناء مقيم . فلو أنني أسأت إليها وبلوتها بشيء من الشدة والبأساء لبرزت طبيعتها الخبيثة وصدق رأيي في النساء »

واستدعاها إلى مجلسه . فلما مثلت بين يديه قال لها : « إن وضاعة أصلك وخسة منبتك كانتا سبباً لسخط الشعب واستيائه ، وزاد هذا السخط أنك وضعت أنثى لا تصلح لأن أستخلفها على العرش »

قالت الأميرة : « مولاي ! إني أعلم خسة منبتي وإنني أقل من أحط أوزاع الناس شأناً . وما هذه المنزلة التي رفعتني إليها إلا فضلٌ لا أستحقه ونعمة لم أكن أتسامى إلى التطلع إليها . فاتخذ مني فيما بيني وبينك من شأن ما يزكو بشرفك ويرضى نفسك غير آبه لاحساسي وشعوري ، فما أنا من المنزلة بحيث أشغل بال مولاي أو أستحق رعايته » وانصرفت الأميرة المبتئسة

وفيما هي مطرقة كاسفة البال إذ دخل عليها أحد وصفاء الأمير قال : « مولاتي : إنني بين أمرين أحلاهما مر : إما الموت ينزل بي لا راد له ولا دافع ، وإما أن آخذ منك ابنتك » وما كاد يتم رسالته حتى أدركت الأميرة أن الملك قد ساقه البغي إلى الأمر بقتل ابنتها . فنهضت إلى مهد الطفلة البريئة وقبلتها قبلة الوداع ، وأسلمتها إلى الرسول في رفق وأسى والتياع ، وفي العينين عبرات ، وفي النفس حسرات ، ولكن الأمير بعث بالطفلة إلى بولونيا أن كان له فيها أقرباء يقومون على تربيتها وتنشئتها

ومضت سنون والأميرة تحمل بين جنبيها فؤاداً كليماً ونفساً تنزى ألماً ، ولكنها لا تظهر الأمير على ما تحمل ، ثم أدركت أنها أصبحت جفن سلاح [1] فتعزت بعض العزاء ، ثم وضعت غلاماً وحسبت أن الأمير ستهدأ ثورته ، وتذهب عنه حدته ، وقد وضعت له ذكراً يرث العرش من بعده

ولكنه استدعاها مرة أخرى ، وقال لها في غلظة وجفاء : « لقد أصبحت لا أطيق الصبر على ما ألقى بسببك من مذلة ومهانة يصبهما عليَّ الشعب صباً . فلقد أثار سخطهم وألَّبهم على أن رأوا هذا العرش الذي أجلس عليه وأحكم بسلطانه سيؤول بعدي إلى غلام ينتسب إلى رعاة الأغنام أهون الناس شأناً وأقلهم مكاناً . ولقد تدبرت الأمر فلم أجد خيراً من أن أريح نفسي من هذا الغلام كما أرحتها من أخته » واقتطع الغلام من قلب أمه كما اقتطعت أخته من قبله

قالت الأميرة : « مولاي ! لك الأمر وعلي الطاعة . ولا أحبَّ إلي من أن تعمل مايشفي صدرك ، ويضع الهم عن نفسك ، ويحمل إليك السعادة بأوفى كيل ، فما أجد سعادتي إلا حيث تجدها ولا تطمئن نفسي إلا حيث ترضى ، وانكفأت إلى مقصورتها وقد بضع الهم من فؤادها بضعة

وبعث الأمير بالغلام إلى حيث كانت أخته

وشاع في الملأ أن الطفلين قد قتلا ، واضطربت النفوس بالحقد على هذا الأمير الطاغي الذي غالى في الضلالة ، وتبسط في الاثم ، والعدوان ، وأفعمت القلوب حباً وعطفاً على هذه الأميرة المنكودة التي صبرت حتى ملها الصبر ، وبالغت في الرضا بالمذلة والهوان ، ووصل صدى النفوس والقلوب إلى سمع الأميرة فأنكرت على الشعب أن يثور على مولاه ، ودافعت عن مسلكه ما وسعها الجهد ، على أن هذا كله لم يكن ليحمل الأمير على الثقة بولائها ووفائها

وأربت سنو العشرة بين الأمير وزوجه على الستة عشر عاماً وهي تصابر القضاء ، وتعاني البلاء . وبقدر ما أقامت على الصبر ، كان الأمير يمعن في الغدر

ثم أراد أن يبلوها مرة أخرى :

قال لها : « أيتها المرأة : لقد عزمت على أن أتخذ لي زوجة غيرك ، وسأردك إلى أهلك الذين نشأت بينهم ، وإلى كوخك الذي درجت فيه ، لتعودي إلى ما كنت فيه من بؤس وفاقة . فما يزكو بمن كان في مكاني من الشرف والعظمة أن تتسامى إلى الاقتران به فتاة وضيعة مثلك ، وإني لواجد بين بنات الأشراف والنبلاء من تصلح لهذه المكانة العليا . »

قالت الأميرة وهي تكظم الغيظ وتحبس الدمع : « سمعاً وطاعة يامولاي طبت نفساً ورضيت الطلاق مخرجاً »

ثم جاء الوصفاء وجردوها من فاخر الثياب وسني الحلل وألبسوها من الثياب رديماً [1] قديماً وبعثوا بها إلى كوخ أبيها

وأعلن الأمير أنه سيبني بابنة أحد النبلاء

ثم بعث إلى جريزلدا زوجه المشردة من قال لها : « إن الأمير

---

(١) حاملا

(١) مرقعاً

على نجز الزفاف إلى عروسه النبيلة الجديدة ، وهو فى حاجة إلى فتاة تمد له مقاصير الزفاف والاستقبال ، وتقوم على شؤون الوليمة والاحتفال . ولم يجد من هو أبصر منك بهذه الغاية وأقدر على هذا الشأن لسابق خبرتك بالقصر وما فيه ، وهو يأمرك أن تعودى إلى القصر كخادم تعمل بضعة أيام تقوم فيها بما يحتاج اليه الزفاف من دعوة المدعوات ، فاذا انتهيت من هذا الأمر تعودين إلى كوخ أبيك كما كنتِ فيه . »

هذه نصال تحز فى قلب الفتاة حزاً ، وتمزقه تمزيقاً ، وهى لا تستطيع للبلاء رداً ، ولا للأمر رفضاً . فسمعت وأطاعت وهى تكاد تنشق غيظاً وكمداً . ولم يكن هيناً عليها أن تنزل عن حب زوجها والوفاء له ، وقد هان عليها أن تنزل عن النعيم الذى كانت فيه ، والترف الذى تقلبت بين أعطافه وحواشيه

مضت إلى القصر فى خفة ونشاط وعليها ثيابها البالية ، وعملت مع الخدم فى تنظيف المقاصير وإعدادها ، ثم خلت إلى نفسها وأعدت الدعوات لسيدات البلاد ليشهدن العرس العظيم

وأقبل يوم الزفاف فاستقبلت المدعوات فى ثيابها الخشنة ، وابتسامتها الناعمة !

ثم مد سماط العشاء وأقبل الأمير وزوجه الجديدة وكانت بارعة الحسن رائعة الجمال . وأقبل عليها الناس رجالاً ونساءً يقدمون اليه وإلى الزوجة ولاءهم وطاعتهم وإعجابهم ، وطوعت لهم الزلفى أن يهنئوه على ما وفق اليه من استبدال زوجه الجديدة بزوجه القديمة

ثم نادى الأمير زوجه القديمة جريزلدا وقال لها فى غير خجل ولا رعاية لا حساسها : « ماذا تقولين فى زوجى الجديدة ؟ »

قالت : « مولاى ! إنى لأشعر لها بالحب من أعماق قلبى . وأرجو أن يكون نصيبها من رجحان العقل وسعة الادراك بقدر نصيبها من الجمال . إذاً تتم السعادة لمولاى الذى أتوسل اليه بكل عزيز لديه ألا يكسر قلبها ، وألا يثلم فؤادها ، ولا يقرح كبدها ، ولا يجرح عزتها ، كما كان يفعل بزوجه القديمة . فهذه يامولاى فتاة صغيرة نبتت فى أعطاف النعمة ، ودرجت فى حواشى العز والترف ، وأما أنا فقد تعودت منذ نشأتى شظف العيش وقسوة الدهر ونكد الحياة . »

قال الأمير وقد خلق الليلة خلقاً جديداً : « عفواً أيتها الفتاة وصفحاً جميلاً ، لقد بلوتك فى البأساء والضراء فما زادك بلائى إلا صبراً على البلاء ، واعتصاماً بالولاء ؛ ولقد كنت أحسب النساء لا يقمن على العهد ولا يدن بالصبر . وما صدفت عن هذا الرأى إلا بعد أن خبرتك فسلبتك سعادتك وهناءك : دعينى الليلة أرد اليك فى لحظة واحدة هذه السعادة التى حرمتك إياها مدى ستة عشر عاماً : هذه الفتاة التى أحببتها الليلة والتى يحسبها الناس جميعاً زوجى الجديدة هى ابنتك وابنتى التى انتزعتها منك منذ كانت فى المهد ، وهذا الواقف إلى جوارها هو ابننا الذى حرمتك اياه رضيعاً . أقبلى يا زوجتى على ولديك وقبليهما ما وسعك الحب لهما . »

واستوت على الوجوه دهشة شادهة ، ووجوم يشبه البله !

ثم تقدم النساء إلى جريزلدا وقدنها إلى مقصورة فاخرة وألبسنها ثياباً لم يطل بينها وبينها العهد ، وجلسن يحدثنها فى إكبار لقدرها وإجلال لنفسها

وأقيمت فى القصر ليال غر ، وشمل الفرح والسرور كافة الشعب ، وطابت نفوس وقرت عيون

وبعث الأمير إلى والد جريزلدا وأتم نعمته عليه ، فاقطعه من القصر جناحاً يقيم فيه ، وعاش الأمير وزوجه الصبور ، ووالدها الطيب ، وولداه الطاهران فى سعادة ونعيم ، حتى فرق بينهم الدهر كما يفرق بين كل الأحياء ؟

« عن الانجليزية » يوزباشى أحمد الطاهر

استدراك خطأ وقع فى القصة السابقة

فى السطر ٢٣ من النهر الأيسر من صفحة ٩٩٤ من « الرسالة » بعد قوله « وقفل راجعاً إلى صديقه تيتوس » سقطت عبارة وهى : « وهمس فى أذنه : قم وابن بالفتاة فهى زوجك . وقع تيتوس فى حيرة . . . الخ » ثم يستقيم الكلام

البريد الأدبي

كتاب فى تاريخ الاسلام : « فرسان الله »

أصدر الكاتبان الفرنسيان الأخوان جيروم وجان تارو كتاباً بعنوان « فرسان الله » Les Cavaliers d' Allah هو الجزء الأول من كتب ثلاثة يزمعان إصدارها تحت عنوان « ألف يوم ويوم فى تاريخ الاسلام » ؛ وسيكون عنوان الجزء الثانى « حبوب الرمانة » ، والثالث « الشعاع الأخضر » . ويعنى الكاتبان فى هذه السلسلة بوصف أولئك الذين يسميانهم « فرسان الله » وهم المسلمون « أتباع محمد » ، أولئك الذين حملوا راية الاسلام « إلى بلاد الكفر النائية » ، وإلى « بحر الظلمات » (المحيط الأطلانطيق)

ويحتوى الجزء الأول « فرسان الله » على تاريخ موجز لمكة وقت أن ولد بها « محمد بن عبد الله » (صلعم) ، وموجز لتاريخ الدعوة الاسلامية والاسلام حتى قيام ملك الأدارسة بالمغرب الأقصى ؛ وقد أظهر الكاتبان على رغم هـذا الايجاز ، قوة فى الوصف ، ولا سيما حين استعرضا الدولة الأموية ، ويتخذ هذا العرض صورة القصة . ولم يبرأ الكاتبان من ذلك التحامل الذى نراه ماثلاً فى كل تاريخ غربى يكتب عن نبى الاسلام

وللمؤلفين عناية خاصة بوصف نفسية الشعوب المغلوبة ولاسيا البربر ، وكيف غلب عليهم « ذوق الوثنية » أحقاباً

الأستاذ محمد عبد الله عنان

قرر مجلس الوزراء تعيين صديقنا الكاتب المؤرخ والصحفى البارع الأستاذ محمد عبد الله عنان للعمل فى قلم المطبوعات بعد اقراره على النظام الجديد . واختيار الأستاذ لهذا المنصب توفيق من الله يضمن اطراد الاصلاح والنجاح فى هذا القلم بعد أن أصبح اختصاصه يتناول الادارة والسياسة والصحافة والتاريخ . ويكاد الأستاذ عنان يكون بلغاته العربية والانجليزية والألمانية والفرنسية حركة متصلة للاطلاع والبحث والتأليف والتحرير ؛ فقد تخرج فى مدرسة الحقوق الملكية سنة ١٩١٨ ، واشتغل بالمحاماة حيناً من الدهر ، ثم عالج منذ سنة ١٩٢٤ التحرير فى الصحافة السياسية والأدبية ، وتوفر على دراسة التاريخ السياسى والمسائل الدولية ، وعكف فى أثناء ذلك على فقه التاريخ الاسلامى فى مصر واسبانيا ، فألف : ديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى ؛ ومواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ومصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، وابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى ، وتاريخ العرب فى اسبانيا ، وتاريخ الجمعيات السرية ، وتاريخ المؤامرات السياسية ؛ ذلك عدا المقالات القيمة والدراسات الممتعة فى التاريخ والسياسة والأدب التى نشرها فى (الرسالة) وفى غيرها من المجلات ؛ وكلها تنم عن صبر شديد ، وعقل سديد ، وفهم ذكى ، وثقافة شاملة . وانا لنرجو أن يجد الأستاذ فى عمله الجديد ما يساعده على المضى فى خطته ، ومواصلة هذا الجهاد المخلص فى نفع أمته

عيد الأكاديمية الفرنسية

فى يوم الاثنين ١٧ يونيه بدأ الاحتفال الرسمى الكبير بعيد الأكاديمية الفرنسية الثلثمائة ، وهو العيد الذى تقرر احياؤه منذ شهر يناير الماضى ، واشتمدت الحكومة الفرنسية ، والأكاديمية وجميع الهيئات العلمية والأدبية لاحيائه بما يليق به من العظمة والفخامة . وقد افتتح هـذا الاحتفال بأقامة قداس رسمى فى كنيسة نوتردام عن روح الكردينال ريشليو وزير لويس الثالث عشر ومؤسس هذه الهيئة الأدبية الخالدة ؛ ثم اقيمت فى عصر ذلك اليوم حفلة رسمية شائقة حضرها رئيس الجمهورية ورجال الحكومة ، وأعضاء الأكاديمية ، ومائتا مندوب يمثلون مختلف الهيئات والمجامع العلمية فى أنحاء العالم ، (ومنهم رئيس مجمع اللغة العربية الملكى ممثلا له) ؛ وألقيت الخطب الرسمية المعتادة ؛ وأقيمت فى الأيام التالية حفلات رسمية أخرى

وقد سبق أن أتينا على تاريخ تلك الهيئة الأدبية الشهيرة التي تضم دائماً أربعين من « الخالدين » صفوة ما تخرجه عبقرية فرنسا الأدبية ؛ وبينا كيف نشأت متواضعة جداً منذ ثلثمائة عام في منزل سيد يدعى ڤالنتان كونراد كان من أمناء لويس الثالث عشر ، وكان أديباً يجمع حوله عدة من الأصدقاء الأدباء والشعراء ، وكان ذلك في سنة ١٦٢٩ ؛ ولبث أولئك السادة يجتمعون من آن لآخر مدى خمسة أعوام ، ويتجاذبون في اجتماعهم شتى الحادثات الأدبية ، حتى علم الكردينال ريشيلو بخبرهم ؛ ففكر في اخضاع هذه الجماعة الأدبية لنفوذه ، وفي أن ينظمها ويجعل منها «أكاديمية » ؛ وانتهى الأمر بأن صدرت الأوامر الملكية بانشائها في يناير سنة ١٦٣٥ ، وصودق عليها من البرلمان في يوليو سنة ١٦٣٥

واستمرت « الأكاديمية » تنمو وتترعرع ، وتجمع في سلكها أكابر النثر والشعر حتى كانت الثورة الفرنسية ، فألغيت مع باقي الهيئات العلمية الأخرى في سنة ١٧٩٣ ؛ وانشئ مكانها « المجمع العلمي الوطني » ؛ وفي سنة ١٨٠٣ قسم هذا المجمع إلى أربعة أقسام منها « الأكاديمية الفرنسية » التي استردت اسمها الأصلي بعد ذلك في عهد لويس الثامن عشر (سنة ١٨١٦) ؛ وقامت الى جانبها « أكاديمية النقوش والآداب » و « أكاديمية العلوم » و « أكاديمية الفنون الجميلة » . وفي سنة ١٨٣٢ انشئت أكاديمية خامسة هي أكاديمية العلوم الأخلاقية

وهذه هي الفترة الوحيدة التي اعترضت حياة الأكاديمية الفرنسية ؛ وما زالت الأكاديمية تقوم خلال هذه القرون الثلاثة بدورها التاريخي في الاشراف على الآداب الفرنسية ، وإن كانت مهمتها الأصلية التي حددت في الأوامر الملكية أن تشرف على « تحسين اللغة وتوسيعها » ؛ وما زال الظفر بالانخراط في سلكها أسمى ما يطمح اليه كاتب أو شاعر ، وما زال الانتماء اليها عنوان « الخلود »

ذكرى شومان أستاذ النقد الموسيقي

احتفلت الدوائر الفنية الألمانية في الثامن من يونيه الجاري بالذكرى الخامسة والعشرين بعد المائة لمولد الموسيقي الألماني الأشهر روبرت شومان ؛ ونظمت لهذه المناسبة حفلات موسيقية عظيمة في أنحاء ألمانيا عزفت فيها قطع شومان ؛ وأذاعت المحطات اللاسلكية مختارات موسيقية من آثاره في برلين وڤينا . ويعرف شومان في عالم الموسيقى بأنه « روح الابتداع الموسيقي » . وكان مولد شومان في زفيكاو من أعمال سكسونيه . ودرس الحقوق أولا ، ولكنه رغب عنها إلى دراسة الموسيقى . ودرس العزف (على البيانو) في ليبزج على يد فيكس وهو من أبرع أساتذة العصر ؛ ولكنه أصيب باصابة في يده اضطرته إلى ترك العزف والاشتغال بالتأليف الموسيقي ؛ ودرس هذا الفن على دورن أولاً . وفي سنة ١٨٤٣ عين أستاذاً في معهد ليبزج ، ثم عين بعد ذلك قائداً موسيقياً في دوسلدورف سنة ١٨٥٠ ، واستمر في هذا المنصب نحو أربعة أعوام ؛ وأنفق شومان معظم حياته يطوف المدن الألمانية مع زوجه كلارا .

وبدأ شومان حياته كمؤلف موسيقي في سنة ١٨٣٤ إذ بدأ تحرير (المجلة الموسيقية الجديدة) وكان ينشر فيها فصولا نقدية قوية تلفت الأنظار بحسن أسلوبها وقوة منطقها ؛ وقد وصل شومان في هذه الناحية النقدية إلى ذروة البراعة حتى اعتبر أستاذ النقد الموسيقي . وكان شوبين وبراهمس وهما يومئذ من أعلام الموسيقى ينوهان بنبوغه وتفوقه في هذا المضمار ؛ وأعظم آثاره في التأليف الموسيقي قطعه الخاصة بالعزف (البيانو) ومنها رباعيات ومقطوعات بديعة للقيثارة . وألف أيضاً قطعة أوبرا عنوانها (چينوفيزا) ، وعدة أوبرات موسيقية

وكان لجهود شومان وطرائقه أثر كبير في تطور الموسيقى الألمانية المعاصرة . وقد كتب ترجمة حياته عدة من الكتاب والفنانين الأكابر ، ومنهم باترسون ورزمان . وخصص له فاسليفسكي ترجمة كبيرة وكذلك فولر ميتلاند وغيرهما

تخليد ذكرى شاعرة فرنسية

وضعت بلدية مدينة نانت لوحة تذكارية باسم الشاعرة اليزا مركير التي توفيت منذ مائة عام في الخامسة والعشرين من عمرها ، على المنزل الذي كانت تسكنه هذه الشاعرة الفنية التي بلغت رغم حداثتها في الشعر مرتبة كبيرة حتى كان لامرتين يقول عنها « إني أتوقع أن تمحونا هذه الصغيرة جميعاً »

وفاة فكتور هوجو — صورة خبرية واقعية

ما زالت فرنسا تحتفل بالذكرى الخمسينية لوفاة شاعرها الأكبر فكتور هوجو حسبما ذكرنا فى فرصة سابقة ، وقد قرأنا أخيراً فى إحدى المجلات الفرنسية الكبرى بقلم مسيو «ارمان براقيل» وصفاً بديعاً للظروف التى أحاطت بوفاة الشاعر الكبير صيغت فى قالب رواية خبرية ، ونحن ننقله لقراء (الرسالة) فيما يلى :

باريس فى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٥

اليوم فى الساعة الأولى والدقيقة السابعة والعشرين بعد الظهر توفى المسيو فكتور هوجو عضو الأكاديمية الفرنسية ، متأثراً بالالتهاب الرئوى الذى اشتد عليه منذ أيام وكان يثير فى نفس أسرته والمحيطين به انزعاجاً وقلقاً . وقد أشار الدكتور زى وزميله الدكتور ڤولبيان فى تقريرهما هذا الصباح إلى أن « الحالة فى منتهى الخطورة » . وكان الشاعر الكبير فى الثالثة والثمانين من عمره

وقد أسلم الشاعر الروح يحيط به حفيداه چان وچورچ ، ومسيو لوكروى ، ومسيو فكتوريان ساردو ، ومسيو اسكندر دماس ، وبعض شخصيات أخرى . ويروى بعضهم أنه قال حين فاضت روحه : « وداعاً يا چان » ، وبعضهم يروى أنه قال : « ها هنا معركة النهار والليل » أو أنه قال : « ليس هذا هو النور ، ولكن ليس هو الظل أيضاً »

وعرض المونسنيور جيبر أسقف باريس أن يقوم بالرسوم القدسية الأخيرة للشاعر الأكبر ، ولكن أسرته اضطرت إلى الرفض عملاً بوصية فكتور هوجو نفسه ؛ إذ قال : «إننى أرفض رثاء كل الكنائس ، وأطلب صلاة لكل الأرواح »

ومنذ ١٩ مايو كان قد فقد كل أمل فى إعادة الصحة والحياة اليه ؛ وقد أصابه بالليل إغماء طويل ، وبالأمس بدأ النزع الأخير

وما ذاع النبأ المحزن حتى هرع الجمهور إلى منزل شارع إيلاو وما زال فى ازدياد مستمر ، وبدأت الزيارات الرسمية ، وكان أول القادمين مسيو بريسون رئيس الوزراء ، ولحق به مسيو فلوكيه رئيس مجلس النواب

وبعد بضع دقائق ألقى مسيو لى رواييه رئيس مجلس الشيوخ فى المجلس كلمة مؤثرة حين أعلن وفاة « شيخ » اليسرة المتطرفة وشاعر الجمهورية والديموقراطية الأكبر ؛ ولا ريب أن جميع السلطات الكبرى ستشترك فى تكريمه ؛ وقد طلب مجلس باريس البلدى أن تنقل رفات الشاعر إلى « البانتيون » ؛ ومن المحقق أن الجناز سيكون قومياً تحفه أعظم مظاهر الجلال ، وسوف يكون مناقضاً لرغبة الميت الذى أوصى بأن ينقل إلى مقره الأخير فى نعش الفقراء ؛ وهى الرغبة الوحيدة التى ستحترم

السبت ٢٣ مايو

حفلت كل الصحف بفصول مؤثرة تذيلها أعظم الأسماء ؛ وقد نشرت « الفيجارو » قصيدة لمسيو الكونت دى ليل عنوانها « التحية الأخيرة » ، وقد دهش لقراءتها الذين يعرفون خصومة الشاعرين ، وما تبادلاه قبل من قارس اللفظ ؛ بل يرى أن دى ليل قال حينما وقف على مرض هوجو : « لقد شرب المجد وأكله ، فعليه الآن أن يهضمه » ، فرثاؤه اليوم لا يمكن أن يعتبر بعد هذه الشماتة إلا بطاقة زيارة تودع عند باب الأكاديمية

وقد هرع عدد من الكتاب الشبان إلى سرير الميت ليسهروا إلى جانبه ، وبين هؤلاء حفيد الشاعر ، وليون دوديه ، وكاتيل مانديس ، وبول آرين ، وچان إيكار ، وأميل بليمون . وقدم مسيو ليوبولد هوجو فى منتصف الليل ليصور عمه فى فراش موته

٢٦ مايو

نشرت الجريدة الرسمية ما يأتى : « سيدفن جثمان فكتور هوجو فى البانتيون ، والبانتيون ليس بناء كنسياً ولا يتبع أية دائرة كنسية ، وإنما هو من أملاك الدولة ؛ وقد رأت الوزارة أن تحقق رغبة البرلمان فى هذا الشأن »

وسوف يحدث هذا المرسوم استياء فى الدوائر الكنسية التى مازالت تعتبر البانتيون من توابعها وأنه فى حرم كنيسة سانت جنڤياف . وسيكون جناز شاعر البؤساء بلونه المدنى مقوياً لصفة البانتيون المدنية ؛ وسوف يثور هذا الجدل حول تابوت الشاعر

وما زالت صفوة فرنسا تنحنى أمام الميت العظيم ؛ وقد حنطت جثته بمنتهى العناية ؛ وما زال كل يعجب برأسه الشاحب الجميل الذى يكاد يضارع بياضه بياض لحيته

الجمعة ٣٠ مايو

وضع المسيو فكتور هوجو فى ناووسه ووضعت إلى جانبه باقة من الورد قدمها ڤلكيبه وبعض تذكارات شخصية ، وقد قرر برنامج الجناز وخلاصته أن ينقل الجثمان فى نعش يوضع تحت قوس النصر ، ويترك هناك يوماً وليلة فى حراسة الشعراء ، والسلطات

المدنية والجيش وشعب باريس ، ثم يحمل فى حفل ظافر الى البانتيون ، وستلقى بعض الخطب عند مبدأ سير الجناز وعند مقدمه

الأحد أول يونيه

منذ صبيحة الأمس بدأ حفل الشاعر النبيل مؤلف « سير الدهور » و « التأملات » ، وسار وراء تابوته إلى « الانوال » عمد باريس المشرون ، والصحفيون ، والكتاب ، وكلهم بالثوب الرسمى والربطة البيضاء ، وحولهم من الجانبين جموع حاشدة لبثت تحيط طول الليل بمنزل الميت ؛ وكان قوس النصر قد جلل بغطاء أسود رهيب ، وحول الى محراب يحرسه حرس شرف من الجند والفرسان وطلبة المدارس ، والشعراء الشبان ، ولم ينقطع سيل الناس طوال اليوم ، يحملون الباقات والأزهار ؛ وهكذا ظهر أن فكتور هوجو مازال يغزو جميع الأرواح والقلوب

الاثنين ٢ يونيه

خصص يوم الأمس كله لظفر فكتور هوجو ؛ ولم يحتفل قبل قط بجناز شاعر بمثل هذا الجلال . ولعل كاتباً لم يمثل من قبل قط تطور عصره كما مثل ؛ فقد مثلت فى شخصه الديموقراطية التى استطاعت أن تصل إلى الحكم بعد طول النضال ؛ وهو شاعرها ولسان حماستها الغنائية ، وهو يتنفس آمالها ومخاوفها فى كتابه « البؤساء » ، ويتنفس غضبها وأحقادها فى كتابه « العقوبات »

وكان الجو بديعا فاتراً ؛ وفى نحو الساعة التاسعة أتى الموظفون وممثلو مسيو جرافى رئيس الجمهورية ، ومجلس الوزراء بكامل هيئته ، وأعضاء الأكاديمية الفرنسية ، والجنرال سوسييه حاكم باريس وأركان حربه ، واجتمعت الوفود فى شارع « الجيش الأكبر » وقد احتلوا شارع نيى بأكمله

وألقيت طائفة من الخطب منذ الساعة العاشرة ؛ منها خطاب لمسيو لى روييه باسم مجلس الشيوخ ، وفلوكيه باسم مجلس النواب ، وجوبليه وزير الداخلية باسم الحكومة ، وأميل أوجييه باسم الأكاديمية ؛ وكان أروعَ الخطباء جميعا ولاسيما حينما صاح بصوت قوى : « ليس هذا دفناً ، وإنما هو تقديس »

ثم تحرك الموكب بعد نشيد المارسليز ، وعزفت موسيقى الجيش لحنا محزنا لشوبان

واليك ترتيب الموكب : سارت فى الطليعة فرقة من الحرس الجمهورى ، ثم سرية من الفرسان ، ثم حاكم باريس وحاشيته ، ثم الموسيقى العسكرية ، فطلبة المدارس ، فاحدى عشرة عربة تحمل أكاليل الزهر ، ثم أربعة من عمال الكوميدى فرانسيز ، يحملون وسادة عليها أوسمة المتوفى ، ثم نعش المتوفى ، وهو نعش الفقراء ، وإلى جانبه أفراد أسرته وخاصة أصدقائه ، مثل جورج هوجو ، وأوجست ڤاكيرى ، وليوبولد هوجو ، وبول فويت ، وكاميل بيلاتان ، والفونس دوديه ، واميل زولا وغيرهم ، ثم أعضاء المجمع العلمى فى أثوابهم الخضر ، ثم أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب بشاراتهم المثلثة اللون ، ثم أساتذة الجامعة بأثوابهم الرسمية المختلفة ، وأعضاء جمعية الكتاب ، وسيل لا نهاية له من الوفود المختلفة

وكانت جوانب الطرق تغص بالجماهير الحاشدة ، وكانت النوافذ والأشجار والأسطحة حافلة بالنظارة

وبلغ الموكب البانتيون من شارع سوفلو فى منتصف الساعة الثالثة ، وقد جلله السواد والأعلام القومية ، وهنالك ابتدأت الخطب الختامية ، فألقى منها إحدى عشرة ؛ وكان بين الخطباء مسيو أوديه باسم مدينة بيزانصون مسقط رأس الشاعر ، ومسيو ماديبه باسم المنفيين فى يوم ٢ ديسمبر ، ومسيو جورد باسم نقابة الصحافة الباريسية ، وهنرى دى بورنييه باسم كتاب المسرح وبعض الأجانب باسم بعض المعاهد العلمية الأجنبية

ثم عزفت الموسيقى لحن فكتور هوجو الذى وضعه مسيو سان سانس ، وعلى أنغامه أودع التابوت فى مثواه الأخير إلى جانب توابيت ڤولتير وروسو وغيرهم من العظماء الخالدين

واستمر تعاقب الوفود حتى مغيب الشمس ، وانتهى فكتور هوجو إلى أن يرقد هادئاً فى عالم الخلود